

محيي إسماعيل

مسافر على باب الله



رواية حقيقية غير مسبوقة
حدثت في أمريكا

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

مسافر علی بابہ اللہ

محبى اسماعيل

مسافر على باج الله
(رواية)

محيي إسماعيل: مصائر ملهى بابج أفد
(رواية)

الحضارة للنشر

٧ شارع أبو السعود - الدقي ١٢٣١١ - القاهرة
تليفون ٧٦١٩٤٣٩ - فاكس ٧٦٠٥٨٩٨

Al-Hadara Publishing
7 Abou El-Seoud Street
Dokki 12311, Cairo, Egypt

Tel.: (20-2) 761 94 39

(20-12) 316 48 67

Fax: (20-2) 760 58 98

E-mail: ask@alhadara.com

E-mail: hadara@ids.net.eg

www.alhadara.com

الطبعة الأولى: يناير ٢٠٠٦

رقم الإيداع بدار الكتب: ٢٠٠٥/٢٠٧٣٠

I.S.B.N. 977-5429-48-x

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

لا يجوز نشر أى جزء من هذا الكتاب أو نقله على أى نحو سواء بالتصوير أو التسجيل
أو خلاف ذلك إلا بموافقة المؤلف على هذا كتابة ومقما، وإلا تعرض من يخالف هذا
للقانون رقم ٣٨ وهو حق المؤلف الصادر فى عام ١٩٩٢..

إن قوة الحب أقوى من حب للقوة

انتهبت فجأة على صوت الهاتف الذى أعلن عن وصول نهلة البردينى من أمريكا فى ١ يونيو ٢٠٠١ متجهة بالطائرة إلى القاهرة وأنها ستمكث ٧ أيام فقط لإنهاء بعض متعلقات لها ثم تعود لأمريكا فى ٨ يونيو ٢٠٠١. والمدهش فى الموضوع أننى أيضا أجهز نفسى للسفر إلى أمريكا وكنت قد حددت تاريخ سفرى ١٧ يونيو ٢٠٠١... ولكن بما أن حبيبة قلبى نهلة التى لم أرها منذ سنين ستغادر القاهرة يوم ٨ يونيو فلقد حسمت الأمر مع نفسى بالسفر معها فى نفس اليوم وفى طائرة واحدة.

فى سبعة أيام أنهيت كل شىء لى فى القاهرة.

أخبرت أسرتى وأصدقائى بسفرى إلى أمريكا...

وكم كان لقائى مع نهلة صاعقا مدهشا فأنا لم أراها منذ ١٥ عاما عندما سافرت مغتربة مهاجرة مع زوجها إلى أمريكا فى يوليو ١٩٨٦...

توجهت أنا ونهلة البردينى إلى مطار القاهرة قاصدين الطائرة النمساوية التى ستطير بنا فى الساعة الثانية ظهر اليوم... وبينما نحن نحسى القهوة فى بوفيه المطار. رمقتى امرأة حيزبون بنظرة فاحصة وهى تضحك وتقول: ما عرفتش؟ مش الطائرة حتتاخر ست ساعات... يقولوا فيها تصليح. لم أصدق وسألت المسئول فأخبرنى بأن هناك ٦ ساعات تأخيرا بالفعل... والمدهش فى الأمر أن هذه الحيزبون تتلقى صدمة تأخير الطائرة ضاحكة... يا سبحان الله... صحيح كل جسم وله

كيميا... تحدد له ردود أفعاله... لكن ما أدهشني حقا لمرأة أخرى في
الستين من عمرها اقتربت من أذني هامة: أفوك سر ما تعرفوش يا
فنان يا جميل...

- قولي

- طب هات بوسه الأول عشان بحب تمثلك وبعدين أقولك...

- وادى بوسه...

- مش للطيارة النمساوية حتتاخر ست ساعات كمان... غير المست
ساعات اللي عرفناهم...

- انتى بتهرجى...

- ليه شايفنى حاطة أزرق وأحمر وأخضر وباضربلك شقباظ...
وحياة شيايك حتتاخر ستة كمان...

- مين اللي قالك؟...

- هو فيه حاجة بتستخبي غيرك أنت يا واحشنا؟... فين أفلامك

الطوة؟... أنت بطلت تمثيل؟... بنشوفك كل سنتين مرة...

يارب تتاخر ٦ ساعات كمان.

والأغرب من ذلك أنها سحبت كرسيها وجلست فى مواجهةى
وبصحبتها الحيزيون الأولى التى فجرت لى الخير... والآن أصبحت
الحيزيونتان فى مواجهةى تضحكان وترقصان لى حوليهما فى
سعادة...

فنظرت لى 'نونو' متسائلة:

- تعرفهم.

- عمرى ما شفنتهم.

- لامل بيلعبوك حولجهم ليه... أنكش في دفاترك القديمة...
طفع الغيظ على وجهي فانتفضت لأسأل المسئول فقال لي مؤكدا
تأخيرها قائلا كلهم ١٢ ساعة بس يا أستاذنا... ودي فرصة أن إحنا
نشوفك... لنا باشكر الطيارة النمساوية اللي حتتأخر عشان نقعد معاك
شوية...

قضينا الـ ١٢ ساعة تأخيراً بين الأكل والنوم والجلوس في
استراحة المطار، ولما كنت أدرك أن حياتنا كلها انتظار قلت في نفسي
ملطفًا... بناقص الـ ١٢ ساعة دول كمان من عمر الزمن. وكنت
أعلم القوانين الملزمة عند التأخير. المشي الذي لم أجده في مطار
القاهرة هنا...

وفي مطار القاهرة وصلت لطائرة النمساوية لتطير بنا إلى مطار
النمسا بالفعل بعد الـ ١٢ ساعة التأخير.

في قمة الإجهاد قد وصلنا، شحنتنا عربية ليموزين نمساوية، حيث
الفندق الذي سننام فيه لمدة خمس ساعات فقط، وبكده يبقى راح علينا
فسحة يوم في النمسا... بسبب تأخير الطائرة.

وفي صباح اليوم الثاني وصلنا مطار كيندي وكانت "تولو" قد
حزرتني ألا اصطحب معي، في شنطتي الهاند باج، مسدس صوت أو
أي ألعاب نارية.

كان في انتظارنا شيرى ابنة نهلة البردينى ومهران زوج "شيرى" الذى يحمل الجنسية الأمريكية... ونونو هذه فى الخمسين من عمرها و"شيرى" فى الـ ٢٥، ومهران فى الثلاثين، وأنا فى الخامسة والخمسين...

تقدمت "نونو" لتعرفنى على عريس ابنتها مهران... قائلثة إنه يعمل فى إحدى الوكالات العالمية فى الاقتصاد، و"شيرى" فى إحدى شركات الكمبيوتر الدولية.

أخذنا مهران فى عربته للمرسيدس الزرقاء حيث المكان الذى سأقيم فيه فى ولاية بنسلفانيا...

وبينما نحن نرحب ببعضنا البعض قال مهران بصوت زاعق وباللغة العربية لثى هى أشبه بلغة الخواجات عندما يتحدثون العربية، أستاذ محببى إحنا عايشين فى بنسلفانيا وهى تبع فيلانفيا... وزى ما حضرتك عارف أمريكا قارة فيها ٥١ ولاية... والمسافة من هنا لبيتنا ساعتين فاستحملهم لو سمحت... وإحنا بقى فى ولاية منهم "اسمها بنسلفانيا" هادئة وجميلة. وأمريكا مليون بير من خطوط الأنابيب، والكهرباء والهاتف، ومليار الأراضى الزراعية، ونص مليار غابة، و٦ ملايين و٥٠٠٠٠٠٠ مزرعة حتى الآن...

وإحنا ساكنين فى بيت نمرة ٨٠ وفى حى جميل جداً، وبكده يبقى أنت عرفت العنوان واتفضل قل لى... فهمت إيه والسكة إزاي دلوقتى؟

فى المساء وصلنا للمنزل، وقفزنا من عربته وأخذنا شئنا ودخلنا
بيتنا أمريكيا رائعا...

واستمر مهراڻ یشرح، مساحة البيت أستاذ محبى ١٤٠ متر
وجواه من جوه ٦ دواليب اسمهم كلوزيت هم جوه مش بارزين لبره
زى عندكم... ولو الدواليب دى كانت بارزة... كانت للشقة ٢٢٠ متر
يعنى المهندس اختصر لنا ٨٠ متر... اتفضل معايا، وسببك دلوقتى
من مراتى ونهله...

دا واحد دولاب جوه الحيطه للأخذية والشنط...

دا ثانى دولاب جوه الحيطه للغسالة الكبيرة دى للى بتغسل واللى
بتتشف.

ودا ثالث دولاب فى غرفتى الكبيرة دى أنا وشيرى... شافى
شابل بلاوى مستحبه بنيله... وتقدر تمشى جواه براحتك عثمان كدا
سموه Walking-closet.

كنت أضحك على تعليقاته الفلاحى العفوية للى متعاصه طين
مطين بطين...

ثم أضاف: ودا أستاذ محبى رابع دولاب فيه التكييف المركزى
لكل الشقة... ودا خامس دولاب فيه كل الفانلات والفسوط والملابس
الخارجية والداخلية والتيشيرت.

ودا الدولاب السادس فيه السخان... وفيه دولاب ٧ كمان خاص
بلوازم الجنينة.

والشقة كلها مكيفة وفيه حمامين والمبة المسخنة والمبة للباردة على
طول... وهنا عندنا ثلاث غرف... دى غرفة ماما "ننه" ودى غرفتى

أنا و"ميرى"... ودى غرفة الأستاذ حضرتك... وأحب أقولك معلومة صغيرة... لو جت عاصفة ما تخافش، هي بس حتشيل البيت دا من جذوره وحتلاقيه طابير فى الهوا لأن كل البيوت هنا مسلحة بالخشب..

أى طلبات ثانية؟ أى سؤال؟

نمت واستفرقت فى النوم.

فى الصباح بدأت أتساءل: أين سكان هذا الحى...

فقلت لى "تونو" حَمَنَ أين السكان؟

وداعتها قائلا: هذه مدينة سكنية لم تسكن بعد. فقلت لى: كل السكان فى عملهم الآن ويعودون فى الرابعة عصرا... انتظرهم فى الرابعة وسوف تراهم... وكما ترى رقم كل شقة مكتوبة على الرصيف الذى أمام الشقة وأمام رقم كل شقة ستجد سيارة كل ساكن. تناولت غدائى وتمشيت فى هذا الحى العالمى الشديد الجمال من الناحية الهندسية والشكلية وانتظرت فى الحديقة التى هى أمام حجرتى... حتى... الساعة الرابعة...

فوجدت العربات بشتى أنواعها وألوانها وموديلاتها تتدفق مهرولة فى رشاقة وقد اصطفت كل عربة وسكنت أمام شقتها فى هدوء واختفى ركبوها داخل شققهم.

اكتشفت ملعبا كبيرا... فبسرعة عدت للمنزل وارتديت للتيشيرت والكوتش وبدأت تنفيذ البرنامج الذى وضعته لنفسى... المشى لولا... ثم الأكل مرتين فقط... ووجبات متوسطة ولا عشاء... وأغلق معدتى فى الثامنة... وأنام فى الواحدة مساء، واستيقظ فى العاشرة صباحا،

ولأن وزني قد زاد ٢٠ كيلو فهذه فرصتي في أمريكا وهي فرصة لن تعوض.

لم لكن أعرف أن هذا البروجرام سيصيب نهلة البرديني بخيبة أمل فيء، فإكم وتُسئها في الأكل كثيرا منذ سنين مضت والسهر حتى الفجر... وعدم الالتزام بأى برنامج زمني في الحياة... فعلام هذا الحزن الذى يكسو وجهها الآن؟

قالت لى نهلة البرديني وتلغها (بنونو): شوف يا محبى...

أمريكا هذه القارة المهولة... هي بلد الأكل العجيب والغريب... وهذه فرصتك فى أن تلتهم كل شىء وبدون حساب وخاصة للشيكولاته التى تعشقها... ثم فى دهشة تصلبت عينها فى عيني وقالت:

أهذا هو محبى الذى كان يأكل ٦ وجبات يوميا وكلها نسم، ويحلى بعلبة شيكولاته... ولا ينام إلا قرب الفجر، نسيت خلاص صوانى الهريسة، وأم على... والشكالاما، وسد الحنك... والكمثرى المحشية بلح... والطبسه.

بعد أسبوع كان قد مر تأكدت نونو وشيرى أننى قد التزمت ببرنامج الريجيم ولا عودة... وبدلوا يتساعلون... ما الذى غيرنى فجأة... وهو الذى ظل ٢٥ عاما صديقا للشراهة فى الحياة... شرها فى الأكل... شرها فى السهر... شرها فى عشقه للحياة!؟

صاح مهران الكشميرى زاعقا من داخل حجرته... ما لكم با جماعة.

وسرحت وأنا أهمس لنفسي: لقد أنعم عليّ الله بهذه الرحلة لكى أوقف شراحتى عند حدها... سائلا المولى عز وجل أن يقوى لى إرادتى من أجل إنقاذ صحتى.

وهاهى النبوءة تتحقق... وهنا فى أمريكا بهذه الوقفة مع النفس... لإصلاح كل شىء كان قد فسد وخاصة الـ ٢٠ كيلو الزيادة التى أفسدت رشاقتى... وجعلتلى مكتئبا...

(٣)

نق جرس التليفون وأسرت "نونو" لتخبرنى...

- أنت مبدى نمرة البيت هنا لحد فى أمريكا؟

- مين اللى بيتكلم؟

- مخرج من كاليفورنيا عاوزك اسمه ويل ريموند...

- هاتى التليفون بسرعة، هاتى.

أعطتلى التليفون الذى أختك من يدها فى لهفة. فلقد كنت أنتظر هذه المكالمة بفارغ الصبر. فلقد تهاتفنا كثيرا، ولمدة عام، وذلك من أجل تصوير فيلم أقوم ببطولته على أن يصور كله بكامل لقطاته فى كاليفورنيا.

والشىء الذى لا تعلمه (نونو) أننى قد أتيت إلى هنا بهدف السفر لكاليفورنيا بعد شهر من إقامتى معهم... بينما هى تعتقد تماما أننى قد حضرت معها لأمريكا بهدف الاستقرار عندهم ولمدة ٦ شهور، لآكون بمثابة الراعى الرسمى لهم خاصة وأن شبرى تحتاج لوالد فى مكانة

والدها وأقرب إنسان لها فى مكانته هو أنا، فلقد تربت على يدي ولقد مات والدها منذ سنتين، هذا من ناحية شبرى... أما من ناحية لونسو فهى ترى أننى صديق العائلة على مدى ٢٥ عاما وأننى مثل أخيها الوحيد الذى توفى أيضاً.

فوالدها توفى والوالدة توفيت... والزوج توفى، وأقاربها المقربون رَحَلُوا والشقة التى تملكها فى القاهرة باعها وكل نقودها أنفقتها... لذلك فانا أشكل لهم الأمل والثقة والأمان وواحد من أسرتها التى انعدمت...

وبينما نحن نتحاور فى التليفون، قال لى المخرج ويسل ريموند السينمائى بصوت مسموع:

- ما عرفتش اللي حصل يا مستر محبى.
- لا ما عرفتش...
- مش عربية طمئنتى وأنا ماشى فى الشارع.
- إمتى إطمئنت؟
- من شهر.
- يعنى الشهر اللي ما اتكلمناش فيه كانت لطمه... معقولة؟
- بس رفعت قضية وفيه محام... وبتعالج...
- أنت عيان كمان.
- أيوه... محبى أنت هنا من إمتى؟
- من شهر.

- لما أشوفك حأ أقولك الحكاية بالضبط... مش فى التليفون...
وباريت تبقى تكلمنى ع الموبيل أحسن... وما تتكلمش عن أى
حاجة فيها شغل... سلام دلوقتى...

- ولما أعوز أطمئن عليك مستر ويل، لزاى!!

- فى نمرة الموبيل دا، بس كلمنى من موبيل أى حد عندكم، وما
تطلبش من تليفون بيتك... وما تطلبنيش على تليفون بيتى.
أصل لما إنطيمت حصل حاجة فى الذاكرة عندى، ولسه
الدكتور هيقدر، بس برکز... بنمى ساعات بس بافتكر على
طول... أصل العربية لما خبطنتى كنت ماشى سارح بافكر.
فقدت شويه فى حاسة الذوق بس مش كل الحاسة، صحيح ما
يقتش أعرف للحوم الحادق، إلا لما أحط سكر كثير على
الحاجة الحلوة، وملح كثير على الحاجة الحادقة... لسيبك
دلوقتى وبتكلم بعد أسبوع... أهلا بيبك مستر محيى.

كانت للمكالمة بينى وبينه باللغة الإنجليزية... وما إن انتهت
المكالمة حتى لغتني دوخة شديدة وفوجئت بأطراف أصابع يدي اليمنى
وقد سرت فيها (تميلة) فالفيلم الذى وعدنى به لكى أقوم بتمثيله هو
طموحى الذى أعيش من أجله ويترتب عليه مبلغ ٢ مليون جنيه
مصرى، وهو الهدف الذى أتيت من أجله.

تصيب العرق من وجهي فاحضرت لى "نونو" مندبل كلينكس
معبأ بالبارفان ومسحت به وجهي... مددت جسمي على الشيزلونج فى
الصالة... تأملتني فى شفقة وهى تحاول أن تحل هذه الشفرة التى هو
لنا... ثم قالت بصوت عال فجأة:

- مالك يا محبى.
- المخرج عمل حادثة.
- احسن.
- احسن لى اى دا لنا اروح فى داهية.
- انت جابيله والا جابيلنا؟
- ايوه... بس الفلوس دى حترقنى على رجلي وتقننى من حاجات كثيرة بتؤرقنى فى القاهرة ليل نهار ومابتخلنيش لنام.
- احمد ربنا انك هنا بتنام وبتشخر.

أول مرة فى حياتى أشوفك بتنام هنا الساعة ١ بالليل وتصحى ١٠ صباحا زى القرد الممسلم. حاول أن تهدأ فانا أعرف عنك جيدا أنك تعاني من القلق وتنام ثلاث ساعات فى اليوم طول عمرك... فاشكر الله أن الهمة هنا فى أمريكا النوم وراحة الأعصاب... واشكر الله أنك هنا لا تعمل وتاكل بنظام وتشاهد التليفزيون الأمريكى الشديد المتعة وبتلعب رياضة...

عادت شيرى من عملها لتفاجأ بالخبر الذى أخفيته عن الجميع... فهاهى والدتها تخبرها أننى قد حضرت هنا ليس حبا فيها ولا رعاية لها... لكن أملا فى الدولارات التى تنتظره فى كاليفورنيا... يعنى إحنا بقينا ترانزيت. هكذا صاحت نونو وصرخت...

لم تستطع شيرى أن تخفى مشاعرها... فبكت متأثرة، فلقد اكتشفت أنها خدعت فى والننى أتيت من أجل خطة أخفيها عنهم وهى التى كانت فى منتهى السعادة عندما علمت بحضورى لأعيش معهم

أطول فترة في بنسلفانيا، الآن تشعر بالضيق فور سماعها خبر سفري
لكاليفورنيا...

ولم أجد أى تعليق سوى أثنى أخذت شيرى فى أحضانى
وطببت عليها فأنا أبوها الروحى فى الحياة...
واقتربت منا "تونو" لتعلن... شيرى ما ترعش... أنا خفيت
باسبوره لما أشوف بقى حيسافر إزاي؟

فمسحت شيرى دموعها وهى تنظر لى فى مودّة:
- محبى خليك معنا زى ما كنت معنا طول عمرك... أنا صحیح
متجوزة هنا بس وجودك معنا دايماً بيحسنا بالأمان وأن فيه
أسرة...

فتح باب الشقة فجأة... طلّت رأس منها... فكانت رأس مهران
وفى صوت واحد رفعوا له خبر سفري كاليفورنيا... فعلق زاعفا فى
حب...

- أستاذ محبى هنا بيتك وما فيش سفر من هنا... مسفر حتة
ثانيه... عيب. أنا فرحت لما شفتك ودلوقتى إنت الكبير هنا زى
والدى...

- فقلت له... متكبر نيش لوى كدا... أنا لسه شباب زيك...
- فقال لى... بس أنت الكبير دلوقتى وصديقهم طول عمرك
فإزاي تتخلى عنهم. وجاى هنا عشان تمستريح من شغل
السنين... وحتى لو رحنت نيويورك أو حتى كاليفورنيا وقابلتك
مصريين م اللى بيحبوك... وعزموا عليك تبات... ماتبتش...
عيب. لأن دا بيتك...

ثم صاح على نونو...
يا أمى كثرى الشطة فى اللقت... عشان الأستاذ يصلح معدته...
واغرفيلنا العنس الكشميرى.

امتألت السفرة باللفت المطبوخ بالشطة والعدس الأسود والحل
فمهران هذا يحب أن يضع الحل أمامه على السفرة ويغرف منها
بالمغرفة فى الصحون.

هنا تراجع عن الأكل وفت فجأة فصاح مهران:

- أستاذ محبى قمت ليه... مالك؟

- أنت بتأكل بصورة بدائية وغير مُنتحبه... بتأكل شكولاته
وحلاوة طحينية وجيلاتى... قبل الطيبخ... وبتلص بلسانك
الطبق والمعلقة وبتكبش الرز بيديك... ما فيش حد قالك إن كدا
عيب...

- قالولى... بش أنا مش قادر لأبطل...

- إن أكل معك مرة ثانية... واتجهت لحجرتى...

وهنا أقسم لى مهران أنه سيثوقف عن هذه العادة البدائية ولا
عودة...

- عدت للمائدة... وهنا أصدرت تعليماتى بإدخال الحل للمكشوفة

لمكانها داخل المطبخ حيث يتم الغرف منها وهى فى الداخل...
لتخرج الأطباق ممثلة منها للخارج...
وبينما كانوا يضحكون... قالت مُونو:

- عرفت إحنا عايزينك تبقى معنا ليه كمان؟ عشان رُحّنتى من
حط الحلل وشيل الحلل والغرف م الحلل... وكمان عشان تخلى
بالك مئه شويه...

التقضى على عقلى شرود أسلمنى لجهامة استقرت على
وجهى... وبدأت التساؤلات تقور فى داخلى.

ما سر هذا المخرج الذى طلب منى الحضور... وبناء على
كلامه حضرت وهو الذى قال لى إن كلمتى هى بمثابة تعاقب لبدء
العمل... وهو الذى أرسل لى ثمن التذكرة (باليونيون وتسيرن) وبدأ
الشك يساورنى... هل تخلى عنى بعد حضورى حتى هنا لأمريكا...
أشك...

هل يعلم أننى تركت ربع مليون جنيه مصرى وعملا هاما ضاع
من تاريخى الآن لأنه يصور فى هذا الشهر الذى أنا فيه الآن فى
لأمريكا... هل يعلم!!

قطع على شرودى مع نفسى دخول شيرى على فجأة... بطبق
مشروم وسلطة زبادى وسلطة خضار... وأعطتى المعلقة ثم الشوكة
بطريقة محببة وجلست بجانبى وقالت:
- اتفضل لكلك للخصوصى...

بدأت الأكل محاولا إسكات ما يحدث فى عقلى الذى على وشك
الانفجار... فانتظار مكالمة هذا المخرج أسبوعاً آخر هو قتل نفسى
بطيء بالنسبة لى... نسمت المعلقة والشوكة فى الطبق بدون وعى
وبدأت أكل... وشيرى تنظر لى متفحصة... ثم قالت:

- ما ترعش لوى كدا... ليحصلك اللى حصل مع صمويل...

- مين صمويل دا؟

- زميلي في الشغل عمره ٣٠ سنة حصلته هارت ألك... ثم ماتتاشي إنك لسه ما انتسحتش... فحشان خاطري وخاطرك وخاطر ماما وزوجي إستقى شوية نفسك... وبعدين عشان مائز عئش نفسك كمان... أيقى روح كاليفورنيا وبعدين لرجع لنا تاني... لسه عندك ٥ شهور... وباسبورك معايا... أنا اللي مخيباه مش ماما.

مرّ شهر على بقائي معهم وأنا أمارس للرياضة والقراءة ومشاهدة التليفزيون الأمريكي والفرجة على المُولات والسوبر ماركات... والنوم الذي حُرمت منه سنوات وهوية للتأمل التي تلازمني باستمرار.

كان وزني قد نزل ٥ كيلوات... وكنت سعيدا بعد أن درست المنطقة التي أنا فيها... لكن زاد من شرودي انتظار المكالمة التي لم تأت في موعدها كما وعدني ويل ريموند...

كنت أصلي وأدعو الله باستمرار أن يقف بجاني... حتى لا أصاب بإحباط... ولكن للأسف لاحقتني الهلاوس وجرفتني في صراع وجنل...

حاسس إن راسي راس كرنبة محشية رز...
لما بامسك راسي كدا وأهزها وألقها أحس
إنها راس كرنبة محشية رز
يعني أنا خلاص بقيت تبع سوق الخضار
زي الحرنكش والخيار

كل شيء فُذِّمى ماشى
كل شيء آهو بيمشى
بس ليه بالمسرة دى
بتسرسب للزمن من بين إيديه
شبوراه آهى فُذِّمى مِئى
وسحابه آهى دخله عَائِيَة
حاسس كَآن مَيَّه بيوضه حَطَّت على عيني وضلَّمتها.

(٤)

- دخلت على شيرى وفى يدها كيس فشار كبير وهى تضحك فى
طفولة:
- محبى مالك... قوم يا فنان... وبطلان سَرَخَان... قوم إلبس
بسرعة...
 - حروح فين؟
 - بس قوم إلبس إنت حتتعد مستنى مكالمة المخرج دا أسبوع؟!
والا نتحرك لحد ما يتكلم؟
 - ما لنا لابس آهه، كنت ارتدى الزى الذى يرتديه معظم
الأمريكان وهو التيشرت والشورت والكوتش...
 - إيشتيك أكثر، إلبس قميص وبنطلون وجزمة جلد... ثم قالت لى:
اتبعنى...

لأخذتى من يدي حتى دولاب اللبس وأخرجت لى القميص
والبنطلون... فارتديتهما.

- اركب، أنا أخذت لك إجازة مخصوص عشان لوزيك مالم تـره
عينك من قبل... بعدها (تودّع أهلك) هكذا كانت تداعبنى...
تطلقت بنا عربتها لكاديلك الأمريكالى للسوداء التى هى أقرب
لعربيات رؤساء الجمهوريات... وهى تصوق فى رشاقة والموسيقى
والتكليف يمران على رأسى التى مستفجر يداعبانها بينما هى تـردد
(إنسى الدنيا وامشى عليها... إحنا يا عمو لينا إيه فيها) وامتدت بسـدها
فجأة أمام وجهى وقالت لشرب... فـشربت شايًا متلجا بدون سكر...
- سألتها: السرعة ليه؟

- دى ثمانية سلندر يا محبى... مافيش وقت عاوزين نلحق
الزمن...

- يا سلام دا أحنا نضجنا قوى...

- عاوزين نلحق نيويورك... ومانهاتن...

وفى طريق الهأى واى... ومن على بعد قالت لى: انظر... هذه
هى نيويورك... والتى أراها الآن من على بعد كعيدان كبريت...
كنت مذهولا من ناطحات السحاب الممتدة فى العراء... ومن لذة
هواء التكليف... نعمت...

- خليك نايم لما نوصل مانهاتن حصحك...

طارت العربة بى وأنا نايم فلقد أسرع أكثر وأكثر والطريق
الممتد يساعدها على شد السرعة... أحسست أننى أحلم وطاير على

كاليفورنيا... إلى أن أيقظتني وقالت لي: محيى أنت بتحلّم وأنت
صاحى...

- أنا نايم... مصدقت أنسى ثوية وأنا...م...
- أنت مش نايم... أنت بتغمغم... بتقول إيه؟
- ما عرفش قلت إيه.
- قلت: فورنيا، فورنيا... أنا جايباك هنا عشان تنسى مش عشان
تفتكر...
- إحنا فين؟
- بص أمامك... نيويورك... هي دي اللي كنت شايفها عيدان
كبريت...
- إيه العلوّ دا؟ إيه للفخامة دي؟ دا خيال.
- أنت هنا فى مانهاتن، ودول أطول ناطحتين سحب فى العالم
اسمهم المركز التجارى... يحوى كل مبنى ١١٦ دور.
- شىء مهول...
- تحب نصورك عنده؟
- صوّرى...
- واللتقطت شيرى لى صورة فى هذا المكان الذى لن أنساه ما
حييت...

ثم قالت لى: اركب...

وركبت وانطلقت بنا الكاديلاك...

ثم قالت: انزل...

ونزلت سيرا على الأقدام... قالت لي... هل تعرف المكان الذي
نحن فيه الآن؟
- لا.

- بروداي حيث أكبر المسارح الاستعراضية في العالم... فهنا
يعرض مسرحيات إيفيتا والبؤساء والقطط والمسيح أركي
للنجوم...

انتقلنا بعد ذلك للحى الصينى China Town، للشارع كله
منتجات الصين طوله كيلو...

وبعد تمشية نصف ساعة على أرجلنا عاد لي شرودي... فلم
تستطع شيري أن تخرجني من الصورة القاتمة التي تلوح أمام عيني...
رغم أن الإبهار الذي أمامي من كل جانب ينميك أهلك على حد
قولها...

فلماذا أنا لا أنسى...

نظرت لي شيري جيدا ترقبني ثم قالت: العربية للي جايه دي
حزركيها، وجاءت العربية وركبنا وصعدنا للدور الثاني أعلى العربية،
وجلسنا على كرسي جميلة وكان الهواء الطلق يدخل في كل جسمي
في رقة وعذوبة وكانت تجلس بجالبي فتاة أحسست أنها وقد استحمت
بالسحاب، فهي بيضاء ناصعة وجمالها مشرقط وإذا نظرت إليها
ستصلب، ستثبت مقلتك ويصبح من الصعب عليك أن تحركها بعد
ذلك.

رمقتى شيرى بنظرة من تحت لتحت ثم قالت لى: بص قدامك
أحسن... هنا. مفيش حد بيصص على حد... إنت شفت هنا أمريكانى
بيصص على أمريكية أو أمريكية بتبصص على أمريكانى.
هنا الأمريكان لا ينظرون خلفهم أو يمينهم أو شمالهم وإنما دائما
ينظرون أمامهم...

العربة التى تركبها الآن اسمها Hop on – Hop off ومنها
تشاهد كل نيويورك... عاصمة العالم كله كما يقولون... وبدلت
المنبعة تشرح الأماكن التى نمر بها:

وول استريت Wall Street

أهم شارع فى العالم وهو أعلى شوارع العالم وهو يحوى
للمصارف الدولية والبورصات والبنوك وأكبر شركات استثمار
عالمية... وفى هذا الشارع تم تصوير النجم الأمريكى روبرت دى
فيرو فى فيلم Show time وهو يدخل فى ناطحة السحاب هذه فى
الشهر الماضى... وأشارت المنبعة إلى إحدى الناطحات...
وهذا كوبرى بروكلين أكبر كبارى نيويورك طولا وعرضا
وارتفاعا... وهذه سفينة كريستوفر كولمبس...

كانت عينا شيرى تتابعنى باستمرار وأنا أشاهد نيويورك وجمالها
ثم قالت لى: جعت؟

- أبوه.

- بيقى ناكل.

- حناكل فين؟

- تحب تاكل فى المطعم الصينى ولا الأمريكى ولا الهندى ولا
الباكستانى ولا اليابانى ولا الفرنسى...
- الصينى...

دخلنا المطعم للصينى ويا جمال أكلهم المشطط... سيدات
وفتيات وشباب ورجال من الأمريكان... وسألتها:

- كل تلى بياكلوا هنا لمريكان؟

- أيوه... بيموتوا فى الـ Spicy الأكلات الحريفة وخاصة الأكل
الصينى...

- إيه النظام والنظافة والجمال والأدب والهدوء والإشرقات التسى
تعلو الوجوه.

وأخرجت شيرى للكريبت كارت لتحاسب وحافظتها تحوى ١٠
كروت فأمريكا كلها تتعامل بالكروت... يعنى كل فلوس الأمريكان
والوافدين بتصب فى بنوكهم وأموالهم وبالتصيط المريح... تشتري...
وعبى... وشيل... من فلوسك التلى متحوّسه عند الدولة التلى بتديهاك
بس مش فى إيدك إنما بكروت فى جيبك فيها رصيدك... وطول ما
أنت عايش بتشتري وبتسحب منه وعليك أن تتحمل مسئولية اختيارك
وصرفك...

نظرت شيرى إلى ساعتها وقالت: شعرك مش عاجبنى... تخلق
عشان تفوق...

- تفكرى...

- أفكر...

دخلنا محل حلقة أمريكاني أشبه بقصر جميل وشديد الروعة
والجمال من الداخل والخارج واسمه "كاميلوت" وفي الداخل وجدت
ثلاثة من ملكات الجمال وهؤلاء هن الحلقات...

أخذت فلورنس المبطرخة رأسى وغسلتها جيدا بالشامبو اللسى
ريحته خلتي أغمض عيني وأحلم.

فزغزغتي شيرى... مالك أصحى...

- ما أنا صاحى.

- ومالك قائل عنك كذا؟

- بأحلم بالحلقة الجديدة...

- قصدك الحلقة اللى بتحلقك...

بدأت عملية القص وشرحت لها شيرى كيف ستكون القصة، ثم
قالت لى شيرى: ممكن تمام بالفعل، غلبنى النعاس من شدة النعسوة
والانتعاش وللهزق من التفكير فغفوت. صحوت فجأة على أزيز
المقص وهو يزن قرب لنى وحاولت أن أخرج نفسى من دوامة
التفكير وأعود إلى طبيعتى المرححة فانسلخت من نفسى خارجا مُمثلا
على الحلقة الرائعة الجمال المنفجرة لثوثة ولظلظة... مُثَّلت عليها
أننى نائم، ولكن بطريقة هى لم تُعهدا فى أى أحد حلق عندها من
قبل... مُثَّلت عليها أتى نائم بينما عيونى مفتوحة وبدأت لثخر ولا
أحرك حدقتى عيني... سقط المقص من يدها وهى مذعورة وتضحك،
وأنا لا أحرك ساكنا، وكلما اقتربت بالمقص منى تضحك. وسألتنى ما
اسمك؟

- محبى

ثم قالت بالإنجليزية: معقولة حد بنام ويشخر وعنيه مفتوحة؟ ثم طلبت منى أن أنزل رأسي للامام (اطاطيها يعنى)... فانزلتها وبدأ المقص يتحرك فى قفاى فى نشوة...

دفعنى الانسجام لأمد يدي خلسة داخل جيبي وأخرج تفاحة وبدأت لكضمها وكل، فضحكت بشدة عندما شاهدتني على هذه الصورة، وزاد ضحكها أكثر عندما عدت لحالتي الأولى... للنوم... وغيولى مفجلة مواصلا التمشير... ولم تصدق شيرى ما فعلت واثبت الضحك بين شيرى والحلاقة... وشيرى تزغزغنى وتقول بالعربية: الأمريكان هنا مايعرفوش للهزار بتاعنا دا...

- ماهى بتضحك أهه والدم بيبك من وشها...

- إيه رأيك فى الحلقة الجديدة دى يا مستر محيى؟

- أنا كدا أمريكانى...

لبست نظارتى وأحسست بأن شكلى قد تغير تماما.

- أصبحت أطول ٢ سنتيمتر... دا اللى أنا شايفاه وحساه... ولو

مش مصدق شوف شعرك قبل ما تحلق، وشوف شعرك بعد ما حلقت.

ثم ركبنا للعربة الكاديلاك السوداء قاصدين فيلادلفيا...

- ولماذا فيلادلفيا...

- خايبها مفاجأة...

- يا سلام يا شيرى كل حاجة عندك مفاجأة...

- اسمع الأغنية دى وودّع أهلك... مامى مش حتعرفك بعد الحلقة
دى... شكلك اتغير خالص... يالاً نام ولما نوصل حصنحك...
هات للكرسى للوراء...

ضغطت على زرار، تُحوّل الكرسي لسرير، نمت على جنبى
الأيمن، حتى أحس أننى فى سرير حقيقى...

وبينما أنا نائم فى سعادة عادت لى هلاوس وهولجس السفر
لكالفورنيا فاعتكلت فجأة وبرقت عيناي وظلّت شاخصة أمامى دون
حرك... فقالت لى شبرى:

- كالفورنيا برضه؟

- عرفتى إزاي؟

- هو أنت بقيت شايف غيرها...!

ثم إن كالفورنيا دى ولاية ثانية، ٦ ساعات سفر بالطيارة،
والتنكرة حتى كالفورنيا بـ ٥٠٠ دولار. ثم إن الرزق دا ربنا اللى
بيوزعه مش المخرج اللى أنت مستنيه عشان يكلمك... فسبها على الله.
وإحنا مامنعناشى إنك تهاجر، فى أى وقت، لا أنا ولا مامى...

- المشكلة دلوقتى مش أنتم - المشكلة هُو...

- طيب... ماتعيش اليوم اللى أنت عايشه أحسن فى سلام...
نفرض جراك حاجة... ح تروحله إزاي وأنت تعبان... ثم إنك
من شوية عند فلورنس الحلاقة كنت بتضحك... وأنا كمان
عاوزه أضحك... أنا طول السنة باشتغل وما بصدق لأخذ لجازة
عشان أستريح... وما صدقت أنك جيت عشان نضحك زى ما
كنا بنضحك طول عمرنا...

أخرجت زجاجة البارفان ورشت وجهي ويدي، ثم ابتسمت وهي
تداعيني.

- فقت؟

- فقت.

- فين ضحكة محبي بتاعة زمان... يعني تضحك مع الحلاقة وأنا
ما تضحكش معايا!...

- مقولة يا شيري... دا كلام برضه...

- خلاص وصلنا... انزل... هات إيدك...

- أه...!

- اضحك

- أه...!

- فُتَح عينك...

فتحت عيني على آخرها فشاهدت ٦٠٠ ولد وبنات على
الفرجة... تتراوح أعمارهم ما بين الـ ٢٥ والـ ٣٠...

- إحنا هنا في مجمع الفنون بفيلاذلفيا... وحرقص كلنا بلوقتي لما
الموسيقى تكق (رقصة الصلصة).

- فقلت مداعباً (من غير جمعة).

- فعلقت ضاحكة... ومن غير شطّة كمان...

- ما تفكرنيش بالشطّة الكشميري...

نقت الموسيقى وتشابكت الأيادي في الأيادي وهات يا صلصة...

وكانت أشعة الليزر تتسلل فينا مما جعل الرقص عبارة عن خيال فسي

خيال... ولولا التهريج المستمر من الكل... لتوَّج الخيال هذه الرقصة
في لوحة تذكارية لا تنسى...

رقصت مع شيرى ومع أمريكية، ولمدة ساعتين حتى خارت
قواى تماما فشيرى هذه لا يجارها أحد فى رشاقتها وسخونتها وهى
ترقص... بوجهها هذا المصرى المشع فى الجمال والذى يفوق جمال
أمريكيات كثيرات، وإذا كنتم ترونى مبالغا فيما قلت... فتعالوا انظروا
وجهها وهى تضحك فى رقة.

اشتد الرقص على أغانى ألفيس بريسلى أسطورة أمريكا
الراحل... حيث دوَّت أغانيه للصاخبة.
وكلنا نرقص على هذه الأغنية...

I want you
I need you
I love you
Don't be cruel
Hound dog
Love me tender
too much
all shook up
Good luck charm
Suspicious mind

أنا أريدك، أنا أحتاجك، أنا أحبك، لا تكن قاسياً، مثل كلب الصيد،
أحبني برفقة، كثيراً جداً، كل شيء يتراقص، حظ سعيد أيتها العقول
للساحرة المريبة.

(٥)

انتهت الحفلة، وركبنا العربة وغطمت في نوم سعيد مرهق ولمدة
ثلاث ساعات.

وصلنا للمنزل في الشقة رقم ٨٠ في هذا الحي الجميل بينسلفانيا.
ليقتظتي شيري... واستقبلتني "نونو" مرحبة:

- يا هلا يا هلا... انبسطت يا أيها الفنان الجميل...

- خالص... وختمنا الجولة بحفلة فيها ٦٠٠ ولد وبنت منتعنين على
الفراسة، عندهم توقف الجمال...

ثم قدمتني "نونو" لضيف زائر كان يجلس على مائدة السفرة في
الواحدة مساء عازي الصدر والبطن أيضاً... وهي تقول حسام صديقنا
هنا في أمريكا...

ثم قالت حسام للرؤيعي دا مصري معاه الجنسية الأمريكية ويقاله
١٠ سنين هنا وهو مهندس إلكترونيات... ودمه عسل...

سألنا على بعضنا ولم أكن مهياً لسماعه، وعندما هممت بدخول
حجرتي لكي أنام قالت لي: حسام حبيبات عندنا... أصله ساكن في
نيويورك... ويدوبك اسمه واصل... ثم قنفت له بيجامة رجالي... وهي
منتشبة للغاية... وكان هو يهم لكي يتعشى فتوقف عن العشاء وهو

يقول: أستاذ محبي... قناة Art العالمية بالتلفزيون بتذيع لحضرتك حديث على ٣ أجزاء شفتهم؟

٧ -

- معقولة؟

- صدقتي مشفتهمش...

- دا يدوبك من أسبوع وكمان عاودها... بناء على طلب

الجمهور... أنا شفتها بقى فى الإعادة وحضرتك كنت متنع

ومثير ورائع ومتقف ونمك خفيف...

فشكرته ولم لكن أعلم أن هذا البرنامج "ساعة صفا" مع المذيعة

والفنانة اللامعة صفاء أبو السعود سيداع وأنا هنا فى أمريكا...

اختفت شيرى ومهران فى حجرتهما... فتوجهت لحجرة مهران

وسألته مين حسام دا...

- قال لى دا صديق ماما... وإحنا ما بنحبوش بس مش عابزين

نزلها... عشان كدا أول ما بيحى بنخش أودنتا على طول...

- ثم سألته: بيبات عندكم؟

رد مهران فى قرف:

- أبوه ماما ننه بتحبه ببسليها ويحكيها حكايات...

- هو متجوز؟

- متجوز أمريكية.

فرحت وجلست بينهما كالثوكة فى الزور... أو قل كجملة

اعتراضية وأنا شاردد... بينما هو يحاول جذبى فى صفه بإلقاء النكت

المضحكة والتودد لى طالبا مئى صورة عليها توقيعى وتقديم خدماته

لى بأن يعزمنى على العشاء... وفسحة وغداء فى نيويورك... فشكرته
محايدا...

ولكن نونو ألحت على أن أذهب معه فى الصباح لنيويورك... ثم
قالت لى: أنت مش كنت بتقولى إن لك صديق مصرى عايش فى
نيوجرسى... خلاص كلمه وخذ معاك حسام يوصلك بكره لحدته...
لأنك لوحدك مش هتعرف توصله... وكمان شيرى بتبقى فى شغلها...
ومهران كذلك... وبييجوا من الشغل تعبانين يدوب ياكلوا ويناموا.

ثم قالت لى: هنا الناس مش زى مصر، وكمان مفيش هنا
أسرار... وكمان مالناس أصدقاء كويسين... وما صدقنا لقينا إنسان
محترم يدخله بيتنا... ما هو مش أى حد نعرفه يخش بيتنا... وأهم من
دا كله عمره ما جاب سيرة حد... ولا عمره نتكلم على حد...
- خلاص اللى تتوفيه...

ثم قال لى حسام... معاك عنوان للصديق اللى حتشوفه فى
نيوجرسى؟
- معايا.

- يبقى بكرة الصبح إن شاء الله نروح له... ولو حَبِينَا نبات عنده
نبات...

- ونبات ليه؟ ما نرجع فى نفس اليوم بالليل...

- يبقى أحسن... تأمرنى يا أستاذ محبى.

اتجهت إلى الأتسر ماشين لأستمع للمكالمات المسجلة... فلم أجد
أى مكالمة بخصوصى...

كانت الساعة للرابعة صباحا فقلت لنونو مش حتتامى؟..

- فقالت يا لانا ننام... -
- حسام حينام فين؟ -
- فى لودتى. -
- ما ينام فى لودتى لانا... -
- و انت تمام فين. -
- فى الصالة، ع الأرض، ابوه انام على الأرض. -
- ما يصحش. -
- الأصول كدا. -
- محبى يا حبيبى... حسام للرويعى دا زى للمرحوم اخويا
وزيك... -
- ما تقوليش زيك... ما فيش حد زى ولا زى المرحوم
أخوكى... الظاهر أمريكا غيرتك أفكارك... -
- أنت عارفنى كويس... -
- غريب ينام فى لودتك. -
- قلتك دا زى لخوايا... -
- ثم صاحت على حسام... فدخل حسام حجرتها التى لانا فيها... ثم
سألته؟
- قولى أنت أول ماتخض لودتى عشان تمام بتعمل إيه؟ -
- بشخر... -
- تركتها وذهبت لجرة مهران فى ذهول أساله.
- دا حينام فى لودتها... -
- رد مهران:

- أصله دا... اللى بيضحك ماما قبل ما تتام...

(٦)

ليس فى يدى شىء أفعله، فأنا هنا ضيف... وأعلم أن نونو هذه عاشت لمدة (١٥ عاما) بين أوروبا وأمريكا، وهذه هى المرة الأولى فى حياتى التى أعيش معهم هنا فى الغربية ولمدة طويلة... وفى مكان محكم بين جدران أربع خارج مصر.

وهم مسئولون عنى... وقد أخفوا باسبورى... وتذكروا للرجوع وعلى أن أتعاش معهم حتى يحين موعد سفرى لكاليفورنيا لتمثيل هذا الفيلم الموعود مع ويل ريموند.

وقبل أن تتام نونو وحسام فى حجرة واحدة صاحت بأعلى صوتها:

- محبى... تصبح على خير... ومانتساش حكمتك الشهيرة...

"أنت حر مالم تُضُر"... وكانت الساعة الخامسة فجرا...

ظللت يقظا طوال الليل... وما أن أطفئت الأنوار حتى تُسحبت على أظافر قنمى بعد ساعة متجها لغرفة نونو... فوجدت نونو نائمة تماما على السرير وحسام نائما على الأرض وهما يشخران... ثم عدت لحجرتى وفى يدى كتاب أقرؤه وأمامى برامج التليفزيون الأمريكية... وبعد نصف ساعة تسحبت ثانية متجها للغرفة... فوجدتهما مازالا يشخران ونائمان تماما... ومرت الساعة السادسة والسابعة وأنا لا أصدق ما يحدث أمامى...

بعد لحظات سمعت صوت أقدام نونو وهى تهمس: محيى

محيى...

- صباح الخير إنت امه صاحى.

- امه.

- ليه صاحى؟ برضه الفيلم؟

- لا بنتى...

- كبر دماغك يالا تعالى نفطر... قوم... شوف وشك كله تجاعيد

م للتفكير وعدم النوم، دا يصح برضه؟ قوم.

تناولنا للفطور نحن الثلاثة... بينما شيرى ومهران كانا نائمين

فاليوم السبت... إجازة...

لرنديت التيشرت والجينز والكوتشى... وخرجت أنا وهذا الغريب

متجهين لنيوجرسى... وكان فى استقبالى هذا المصرى الأمريكى الذى

يعيش فى أمريكا منذ ٢٠ عاما، رحب بى وقدم لى زوجته الأمريكية

التي رحبت بنا... وألح على أن يستضيفنى فى منزله... ولكنى أعلمته

أننى فى طريقى إلى كاليفورنيا حيث سأمثل فىلما أقوم ببطولته يصور

بالكامل فى كاليفورنيا مع أحد المخرجين الذين يعيشون فى

كاليفورنيا... وبينما نحن نتناول عنده الغذاء... فوجئت بحسام ينظر

لزوجة صديقى الذى أزوره نظرات شهوانية، فى اللحظة التى قام فيها

صديقى ليحضر الفاكهة كى تحلى... لقد لاحظته بنقء، أما هو فلم

يلاحظنى... لقد تحولت فى هذه اللحظة إلى كولمبو الذى يراقب بنقء،

ولم أعلق على ما رأيت...

انتهت الزيارة... وفى طريق العودة حكى لى حسام للرويعى قصة حياته التى لم أكن أحب سماعها. ثم حكى لى قصة هذا المكان الذى أنا الآن أقيم فيه... وأنا أستمع له دون تعليق قائلاً:

- نهلة البردنى دى (ترانزيت) لما بيكون معايا واحدة أو محتاج مكان بالليل أريِّح فيه مافيش مكان غيرها... والأخ مهراڻ دا جلف وخسارة فيه (شيرى)... والبيت دا باختصار كده أنا الكبير بتاعه... ومالوش راجل غيرى...

ثم حكى لى سرا دقينا لم تحكه لى نونو... وكان هذا السر يمس سمعة الجميع فى هذا البيت الذى أحترمه والذى أنزل فيه ضيفاً... حيث واصل حديثه لى سائلاً كجس نبض لى:

- إنت تعرفهم من إمتى؟

فقلت له كاذباً عليه حتى أعرف كل ما عنده:

- أعرفهم من سنة فقط...

فقال: طب أسمع بقى اللى ماتعرفوش عنهم:

- مهراڻ الجلف دا بيخون مراته... والسنت والدتها والتى تدعى أنها أرسنقراطية، هى أبعد ما تكون عن الأرسنقراطية دى ما عندهاش حاجة غير سيرة للناس... وعندما تدخل معها فى صراع أو يحدث للنقاش نكتشف على الفور معناها فهى لا تعرف للحياء أو الخجل، سليطة اللسان... تعشق اقتحام حياة الآخرين وفرض نفسها عليهم دون أن يسمح لها أحد بذلك... مزعجة تحب السيطرة... ومصlechterها فوق الجميع... ممثلة بارعة تلعب على كل الأطراف... تمزج الكذب فى الصدق فى الضحك...

لكن من يتأملها جيدا يكتشف حقيقتها، فهي مرواغة...
مخادعة... تتقض عليك من أى ثغرة تنصيدها أثناء حوارك
وعندما تحاصرها لتتزع عنها قناع الفضيلة الذى تتمسح فيه
تفاجئك بالرد الفورى الذى يجعلك تحسّ بأنك أنت المخطئ...
وأنت لم تفهم ما تقصده... ونصيحتى لك حتى تعيش معهم فى
سلام أن تكسر رأس هذه الأفعى نهلة البردبنى بأن يعلو صوتك
فوق صوتها ولا تترك لها فرصة فرض رأيها... فهي بلا أى
رأى ثابت فى أى موضوع... ومعظم معلوماتها خاطئة...
راقبها جيدا لتكتشف بنفسك أنها تمثل عليك الصدق، لكنها تنتفس
الكذب...

ثم أنهى حديثه خاتما: معلش دى حاجة كانت جوابه... وأقسم
لك بالله إنك أول إنسان أسيرَ له هذه الأسرار، لأنى أحسست فيك الطيبة
وواضح من حديثك أنك ابن ناس متحضر... وأخاف عليك أن تصطدم
بها...

كانت سيارته قد اقتربت من الحى الذى أعيش فيه معهم فى
بنسلفانيا... نظر لوجهى فوجدنى صامتا... ولا تعليق... وما إن دخلنا
معاً من باب الشقة وهَمَّ بخلع حذائه... حتى ولجّهتُ نهلة ومهران
وشيرى بكل كلمة قالها لى... فطفح الموقف... كسيل جارف. أصابهم
بشدة حتى كاد نخاعهم أن يخرج من رؤوسهم...

وهنا انقضّ مهران الطويل كنسر جارح فجذب حسام الرويعى
من قميصه الذى كوّره فى يده ودخل به فى عمود مسلح... وهو

يبصق على وجهه ويركله بقدمه ويضربه برأسه بينما نونو قد بُحَّ صوتها من الصراخ فيه والدفاع عن نفسها...

وشيرى... تكي فى ألم على هذا القدر الذى لم يحترم هذا البيت الذى يستقبلونه فيه بالترحاب وكأنه واحد منهم...
ثم كرمته وردَّ الإهانة عليه، وبدون رحمة...

بعد فترة صمت طويلة نظرت لى نونو وهى تقول لى:
- بوعى تصدق أى كلمة قالها لك المنحط دا، دا هوّ اللى بيقول لى وينقل لى أسرار كل بيت بيخشه...

- وإنتى بتسمعيه ليه؟

- عشان الممل الللى أنا فيه... بيسلبنى فى وحدتى هنا.

- مش دا الللى أنتى قلتلى عليه عمره ما جاب سيرة حد، ولا اتكلم على حد، مش دا الللى أنتى سمحتى له ينام فى أودنك...

- مش بعيد أنه يقول إنه كان ينام معايا أو مرافق بنتى.

- الحرية يا نونو لها حدود وتصرفاتك محسوبة عليكى.

- صح أنت صح طول عمرك ابن ناس ومخلص...

- سمعة الإنسان يا نهلة هى كل شىء، وعندما يفقدها يفقد أغلى شىء...

حاحكلك قصة صغيرة...

سئل أحد الأبطال عن سر قوته على مواجهة الصعاب فأجاب:

هل شاهدت حجاراً يضرب الصخر بمطرقته ربّما مائة مرّة دون

أن يبدو فيها أى كسر...

وفجأة وربما فى المرّة الواحدة بعد المائة ينشطر للصخر
شطرين...

فليس من الضرورى أن تكون الضربة الأخيرة هى التى حققت
هذه النتيجة بل المائة التى سبقتها...
هذه حكم أعيش بها.

والضربات المتواصلة ولو بأصغر بلطة كفيلة بأن تحطم أضخم
صنم.

- مناسبته ليه الكلام دا؟

- مناسبته لى صابر وعمرى ما لياس وكثير قوى فى الدنيا دى
عايشين فى وحدة، بس متعايشين، مش شرط يكونوا عايشين،
بس متعايشين... عشان كذا لازم تحمدى ربنا على إلتى أنتى
فيه... صحتك وبيتك وعايشة فى جو صحى، وحاولى تعملى
حاجة فى حياتك بدل القعدة دى... إنتى مش بتعرفى لغات؟
- ليوه.

- ترجمى وأنتى فى بيتك...

- قولى مثلت كام فيلم لحد دلوقتى.

- ٥٠ فيلم.

- براشو.

- زى فيلم الإخوة الأعداء...

- ليوه...

- سيكون دراما برضه؟

- ليوه...

- نفسى أشوفك زى باتشينو ونيرو وبرافك وراسل كرو
- إن شاء الله مع ويل ريموند... كلها أيام وأوصل لهنفى... أنا
عندى طموح كبير قوى يا نونو... ونفسى أوصل للعالمية لأنى
ابتديت حياتى فى السينما العالمية مع للمخرج الإيطالى روبرتو
مونتيرو بس ما كانش معايا قلوب عشان أسافر للخارج وأمل.
دلوقتى الفرصة جت وحامسك فى إيدى ٢ مليون جنيه مصرى
وساعتها حاعرف يعنى إيه تخطيط لمستقبلى وفى جو صحى...
- يا سلام على للفلسفة...

- هذا ما أطبقه على جسمى الآن... فأنا كل يوم أشحذ ليرلتسى
على مواصلة الكفاح والنضال ضد هذه السمنة المتوحشة التى
أرهلتنى. والحمد لله الآن... قلّ للنهجان... وهبط كرشى وبطنى
المنتفخة للأمام...

دق جرس التليفون فقامت مثلها رافعا السماعة... كانت للمتحدة
شيرى، قالت لى: محبى إلبس بسرعة عشان حوريك حاجة عمرك ما
شفتها وبعدها تودّع أهلك... دقيقة وحتلاينى بالعربية... ولما كنت
مرتديا ملابسى... خرجت مسرعا فوجدتها... ركبت وطارت بعبقتها
بسرعة لم أعدها فى حياتى وعندما نظرت لها كى تهدى من سرعتها
قالت لى: نام ولما نوصل للإمبيزستيت حصحوك. نام... وبالفعل
نمت...

وفى مناهاتن رأيت الإمبيرستيت... تسعين نور... مرتفعة
ومستقيمة وضخمة جدا من الدخل... ورفيعة جدا من الخارج... دخلنا
ومعنا من البشر من كل الجنسيات فى نظام دقيق محكم، لكل يسير

ببطيء ولا يلامس أحد أحد، والأسانسير يتسع لـ ١٠٠ فرد، فى دقيقة يصعد بك الأسانسير التسعين دورا لتصبُّ هذه الأسانسيرات فى النهاية فى أعلا الإمتيرستيت حيث تشاهد كل مدينة نيويورك وتزداد متعتك لو نظرت فى التلسكوب لتشاهد ناطحات سحاب تفوق خيال أى حالم يحلم.

ناطحات السحاب المهولة هذه تراها من أعلى، من كل الزوايا، وكأنها عيدان كبريت غرزت فى هندسة وتجانس ووحدة فنية تتوقف عندها لغة الكلام...

وبينما نحن فى أعلى الإمتيرستيت نتجول ونرى الأنتيكات والتحف الأمريكية فى البوتيكات... دق موبايل شيرى وكان المتحدث سيدة أمريكية اسمها سلفانا... فقالت لى شيرى: واحدة اسمها سلفانا... أمريكية... تعرفها؟
- هاتى الموبيل...

أعطتتى الموبيل وهاتقتها فقالت لى: أنا مكلفة من طرف مخرجنا العظيم ويل ريموند بأن آخذك فى جولة فى أمريكا لالتقاط بعض للصور الخاصة بك فى أماكن سياحية هنا... قبل سفرك له فى كاليفورنيا... وهو الذى كلّفنى أن لحدّتك على هذه النمرة الخاصة بهذا الموبيل... وسوف ألتقى بك بعد ٧ أيام حتى أرسل له الصور سريعا... فأرجو أن تكون على استعداد... واسمح لى بالعنوان الذى تقيم فيه الآن، فجهّز ملابس للتصوير.

أعطيت شيرى الموبيل لكى تعطئها العنوان وخط السير ثم حددت الموعد الحادية عشرة صباح السبت القادم...

ولكن... لماذا لم يتصل بي في خلال هذا الأسبوع كما وعدتني وعهد بمهمة الاتصال لسلفانا؟ وما صلة سلفانا به... هو في كاليفورنيا وهي في نيويورك وبينهما مسافات؟ ما سر هذا المخرج الغامض؟... وأنا أعرف أن المواعيد هنا بدقة ولها احترامها... هل لأنسى ممثل غير معروف بالنسبة لهم تكون هكذا المعاملة؟... ولكنى نجم في بلدى وهو يعلم ذلك... فما هو سر هذا للرجل...
لأخذنا الأسانسير وخرجنا من الإمبرستيت بعد أن التقطت لى شيرى فيلما كاملا... ثم قالت لى:

- جعت؟

- جعت.

- صينى ولا أمريكانى ولا فرنساوى.

- فرنساوى.

وأكلنا أكلة قواقع محترمة بشورية التوم... لا أنساها...

وانطلقت بنا المرسيمن وفي طريق العودة قالت:

- تعوم؟

- أعوم.

مررنا على المنزل ولأخذنا المايوهات والكولمان الذى يحوى بعض المأكولات والمنتجات.

انطلقنا وركبت معنا نونو متجهين إلى حمام سباحة في
فرجينيا... وأنا أسأل نفسي: ليه الرجل المجنون دا مكلمنيش في
خلال أسبوع زي ما وعدنى... كذا بيضيع على أسبوع كمان؟ ويا
تري سلفانا دي كمان هتصدق وتيجي في ميعادها هي كمان والا لا...
كان الحمام مليئا بالفاتنات.

وشد انتباهي بعض الفتيات والسيدات الأمريكيات والرجال
والشباب وقد رسموا وشما غريبا على أزرعهم وصنورهم وأفخاذهم
وظهورهم بشكل مفرز يشوه عطاء الخالق لهم من جمال...
لا أخفى عليكم أنني أتمتع بمهارات كثيرة كركوب الخيل والرماية
والماراثون واليوجا والتحليل النفسي والتمثيل والكتابة والقراءة... لكني
لا أجيد السباحة...

قالت لي نونو: انزل ماتخافش... عندك السلام أهى امسك فيها
وانزل... ولكنك شيري لي ذلك... وبدأت النزول من على السلم
الحديدي... لثحت في المياه التي أخافها... المهم نزلت... وغطتني
المياه حتى صدري... كنت خائفا ولكني سعيد في نفس الوقت فحولى
الأطفال يسبحون كالسمك.

بوجود الأطفال بجانبى أحسست أنني في حوض سمك وليس في
حمام سباحة، لا أخفى عليكم أحسست ببعض الأمان.

خلسة ومن وراء ظهري رشنتي نونو وشيرى بالمياه حتى
يُجمدوا لي قلبي... على حد قولهم... لكني خفت أكثر وصرخت مما

جعلنى أتملق السلم الحديدى فى مشقة وأصعد خارجا من المياه وأكتفى بالمشاهدة. وما إن ابتعدوا على حتى تسحبت خلسة من ورائهم ونزلت المياه مشجعا نفسى، ولكنى كنت أكثر دهاءً من نكاتهم فلقد وقفت بجانب السلم لأحتمى فيه ساعة الهجوم علىّ، بل لصصت أكثر بالأمان لوجود الأطفال بجانبى، وبما أنهما قد ابتعدا عنى بدأت أعطس فى مكاتى ثم أقف على رجلى وأنا سعيد والأطفال سعداء يضحكون بما أفعل... وفى إحدى المرات عندما هممت بالغطس... كنت ساموت... فلقد نسيت أن أغلق فمى وأنفى... شهقت وقببت وصرخت... والتف حولى السباحات الأمريكيات والبنات والأطفال والشباب... ومصيبة كانت لو كنت مت قبل ما يتحقق حلمى فى كاليفورنيا كمثل عالمى.

لقد شاهدت فى هذه الدقيقة التى غطمت فيها كل شريط حياتى أبيض وأسود وانعدمت الألوان منه... معقولة ح اموت فى شبر مية وأنا الذى كنت أمزح فى الطائرة وأقول يا سلام لو الطيارة النعمساوية اللى أنا ركبها دى تقع وإخوتى يورثوا... أد إيه حكون سعيد... فالمبلغ ٢ مليون جنيه مصرى... هى دى الموتة الحلوة، إما لو مت فى شوية مية ولا حيورثوا دولار واحد.

أخذنا العربى وعدنا للحى الذى نسكن فيه فى بنسلفانيا واستأنزنتهم لأن يتركونى بمفردى لتأمل للحديقة التى هى أمام البيت... استرخيت ونمت قليلا وأنا أحلم بموعد اللقاء مع سلفانا والتقطت بدأى جريدة أمريكية يقول عنوانها الرئيسى (وفاة ١٨ أمريكيا بناموس مهاجر من السودان واسم هذه الحشرة West Nile virus).

يا نهار أسود لو تكون نهايتى هنا فى بلاد الشمال على إيدى
ناموسة... وانتابنى الذعر أكثر عندما علمت أننا على بعد ٢ كيلو من
منطقة فيها مفاعل نرى وزاد من رعبى أكثر عندما انطلقت عربات
مطافئ منذ يومين قرب الفجر متجهة إلى المنطقة التى فيها المفاعل
النرى، فى هذه الليلة التى لم يتم فيها أحد... حتى أعلن التلفزيون أن
المنطقة هانئة وليس هناك أى تسريب نرى...

فجأة... لمنتك بدى لكى أهرش فى قمنى هرشا استمر دقائق ثم
استمرت الدقائق دقائق أكثر ثم انتقل الهرش لنراعى... فتركت الحديقة
ودخلت الشقة وأنا أهرش...

وبعد يومين من الهرش للمستمر صباحا ومساء وأنا أخفى الخبر
عنه فوجئوا بورم فى رجلي ونراعى... ونصحونى بأخذ زجاجتين
فيهما الشفاء، زجاجة أدهن منها مكان الورم وزجاجة أرش ما بداخلها
على الورم.

فى قمنى ونراعى... ولكن الهرش تحول لأكياس ناشفة مجلمزة
واستقرت دون حراك أسفل قمنى وفى بطن نراعى... وأخبرتهم بما
حدث لى بعد ساعات... شفتم النتيجة ففوجئت بهم أيضا عندهم مثل ما
عندى... عندما مدوا لى أقدامهم المهروشة وأنزعتهم... لكنهم تعودوا
ألا يتحدثوا فى مثل هذه الموضوعات للصغيرة... سألتهم إيه الحكاية
بالضبط...

قالت نونو... التلى بيقرص دا اسمه Bug

- بق وياه التلى جاب البق هنا.

- مش بق Bug

البيج دا حشرة صغيرة أد الدبابة... تظهر فى السماء... المهم لما
تقع فى الجنيئة تغطى ذراعاتك وتلبس شراياتك... وتسدن دهانتك
وترش رشائك... ثم اجلس نون خوف... كما نصحونى.

- غطيت ذراعاتى ولبست شراياتى ودهنت دهانتى ورشيت
رشاتى... ثم خرجت للجنيئة كى أجلس لأستمع بهوية للتأمل
اللى أحبها من صغرى عندما أنظر فى سماء الله الصافية
ولوانها اللى لم أشاهدها من قبل... مثلما أشاهدها من هنا...
وما إن جلست حتى بدأ الهرش ثانية فلماذا للهرش وأنا لم أر أى
بجاية تقترب حتى الآن...

أنظر ما هذا الذى يبرق ثم يختفى... دفقت للنظر فوجدت حشرة
صغيرة غير مرئية... ضعف حجم الناموسة... لها ذيل يضئ لونها
أصفر للحظات ثم ينطفىء... ظللت أراقبها ولا أصدق... ربما أحلم...
معقول؟ عينيّ آهى مفجلة... لكنى خفت أن تكون هى الناموسة للقائلة
والتى يعلنون عنها... فقامت مذعورا داخلا الشقة...
وما إن أغلقت الباب حتى سمعت نونو تصرخ بأعلى صوتها مما
جعل شيرى النائمة تهب مذعورة.
- مالك يا ماما.

- الحقى يا شيرى للـ Bug فيه بجاية على للحيطه...
استكيت شبشبا وأنا أجرى على صوت نهلة... وما إن رأيت
البجاية حتى قتلتها بالشبشب... يا سبحان الله هذه الحشرة للصغيرة
تحدث كل هذا النكد والورم والتشوه فى الجسم...

هدأت نونو ولمت نفسها... وقالت فيه حشرة أو الناموسة دي لها
بينور بالليل ويطنى شفتوها... دى حشرة أنثى، من ديها اللي بينور
الذكر يعرف مكانها... يا تلحقها يا ذكر... يا غيرك بلطشها منك...
فضحكت على ما تقول... مندهشا... ثم سألت شيرى: كلام ماما
صح؟... قالت شيرى: فى التلفزيون فى القناة الخاصة بالحشرات
حشوف بنفسك اللي قالته ماما...

- معقولة حشرة أنثى بتتور بالليل عشان تغوى الرجالة الذكور.
دخلت حجرتى ونمت وأنا لألم باقتراب المسافات وأنه قد حان
موعد للسفر لويل ريموند الذى عطلته الحادثة...
كم أنا مشوق عليه... نحن الفنانين نبتمس دائما ونحن مجروحون
من للدخل ولكن الناس يريدوننا دائما مبتسمين فليس لهم دخل فيما
بداخلنا من آلام...

لم أكن أتصور أن يحدث لى كل هذا بسبب طموح خططته جيدا
مع هذا الريموند، ولم أكن أتصور أن أعيش فى أسرة أعرفهم جيدا من
القاهرة، لأجدهم فى أمريكا وقد لجبرتهم الظروف التى يعيشونها أن
يتغيروا، ومن منا يعرف أين تذهب به الأقدار؟... من يدري ماذا
تخبى لى الأيام؟...

هدأت نفسى تماما... وعادت لى تقى... فبينى وبين الـ ٢
مليون جنيه الذين انتظرهم فى كاليفورنيا ٦ ساعات سفر بالطائرة...
وست ساعات سفر هنا بالنسبة للأمريكى... كالتهامه سندوتش
هامبورجر... شىء لا ينكر... فالطائرة هنا يركبها بالنتشرت
والكوتش... زى ما تقول مشوار صغير م الجيزة للمهندسين... فى

حين أنهم يذهبون بالطائرة من ولاية إلى ولاية أخرى... وهناك كمان
فروق في التوقيت بين بنسلفانيا وكاليفورنيا ثلاث ساعات...
سعادتى لا توصف وشهيتى مفتوحة اليوم للخروج بمفردى
للتعرف على أمريكا...

ولكن الوقت يمر بتغل وكاعة لم أعدها فى حياتى... ويطول
اليوم طولا لا أستطيع وصفه رغم إحساسى أن الزمن أصبح مكثفاً
ويمرّ سريعاً فى القاهرة... إلا أنه هنا لا يمر، طويل وقاسى وممل ولا
أعرف ماذا فعلت فى حياتى لكى أنال هذا الجزء هنا فى هذا المكان
البعيد الخالى من أى ونس ومودة ولكنها أيام وتظهر النتيجة وعلى أن
أروض نفسى كعهدى بها دائماً على التحمل والصبر، وأن أتصالح مع
نفسى ولا أرهاقها وأسئبها وأمتعها حتى ألتقى بسلفانا أو ريموند...

ولما كنت لشهور أرافق هذه الصحبة التى أعيش معهم فى
تحركاتهم وسفرياتهم وخروجهم وشرايتهم وارتيادهم شتى الأماكن
المبهرة هنا فى أمريكا... فلقد اكتسبت منهم التجربة وذاكرت الأماكن
جيداً... واكتسبت بعض المعلومات.

أخذت معى خريطة أمريكا وخط سير الطرق ومعى رخصتى
الدولية فى القيادة ورقم الحى الذى نسكن فيه والكروت السيرسى
الخاص بنقودى التى لى فى القاهرة... ومعى رقم موبايل مهران ورقم
موبايل شيرى... ورقم موبايل سلفانا والباسبور... ولقد استعرت
موبايل شيرى لأى اتصالات قد تخطر على بالى وأنا فى الطريق أو
أى اتصال مفاجئ لى...

ركبت سيارة مهران المرسيديس... وخرجت من الحى الذى أقيم فيه منطلقا لكى أتعرف على هذه القارة والتي أدهشت الدنيا بأسرها... فهامى النباتات الكثيفة الطويلة الفارعة الفارحة الخضراء على جانبي الطريق... كثيفة كثافة ما بعدها كثافة... وممتده طولا وعرضا وعمقا... ولا يستطيع أى كاتب فى العالم مهما أوتى من بلاغة وصياغة أن يصف هذه النعمة الربانية التي أنعم بها الله على أمريكا... ما كل هذا الخضار الذى لو وزع على الدنيا بأسرها لستم نقاء البيئة التي هي مشكلة العالم الآن... فالهواء هنا نقى وفى شهر سبتمبر هذا... لرتدى للتشرت وللشورت والكوتشى... ولا لرتدى للغانلة الداخلية لا لنا ولا كل الأمريكان... فهواء أمريكا علاج لى ولضيق التنفس الذى أعانيه من هواء القاهرة الملوث بالرصااص...

بنسلفانيا هذه المدينة الصامتة الهادئة والتي ينام سكانها فى العاشرة مساء... ويدخلون منازلهم فى الثامنة مساء... ولا خروج بعد ذلك ولا نفس ماشى تلاقيه فى الشارع... هذه المدينة الراقية الشحيحة العرب والمصريين... فمعظمها من جنسيات أجنبية مختلفة وأمريكان ويهود...

فهي أول مدينة بنيت فى قارة أمريكا التي تتكوّن من ٥١ ولاية وقد بناها وليم بن الإنجليزي... فلقد كانت الحكومة الأمريكية مديونة له وهي تحت الاحتلال الإنجليزي... وسويت للمديونية بأن أعطوا له ولاية بنسلفانيا رداً لدينهم الذى كان كثيرا...

ولسوق لك معلومة من ضمن معلوماتي وتاملاتي وبحثي
وتتقيبي... وأنا في طريقي لإحدى الأماكن التي سأصل إليها... بعد
قليل (هنا في أميركا تتعاش كل الجنسيات والكل يخضع لقانونها لا
يهم لونك أو ديانتك أو أصلك أو جنسيتك... فأمریکا هي دولة كل
المهاجرين من كل الدنيا مهما اختلفت لغاتهم... ما يهم أميركا هو أن
تعمل (العمل هنا عبادة ومقدس)... واحترامك للقوانين الملزمة
والإنسانية ودفعك للضرائب... التي هي شرايين الدولة تجعلك تعيش
في سعادة وأمان...

فالدولة هي القلب الذي ينبض باستمرار مادام الدولار يغذي الدم
المتدفق في شرايينها... لأن قلب أميركا ليس على استعداد أن تتوقف
نبيضاته فهو قلب شره وطموح للغاية ومحب للحياة قوى ومغامر ولا
يحب - مهما كانت المصائب والصدمات - أن تضعف العضلة فيه...
وبمناسبة القلب تذكرت قصة صغيرة عن كلب جميل هنا وأنا
أزور إحدى البيوت الأمريكية في مانهاتن... جيمي... هذا كلب ألماني
ماركة روفنفايلز يرتدى طوقاً في رقبته ثمنه ٣٠٠٠ دولار.

الأسرة هنا تحسقه عشقا ويتنافسون في حبه... فهذا يهيئ له
البانيو لكي يستحم... وهذا يحضر له غذاء الخاص... ويركع على
قدميه ويؤكله بالشوكة والملقحة والسكين... وهذه تشرح له شعره
وتضع له أرقى البارفانات للكلبية... وجيمي هو أيضا ككلب يبادلهم
نفس الشعور ويدخل السعادة على هذه الأسرة المحظوظة بتواجده
بينهم.

وفى يوم من الأيام خرج جيمى برفقة ريتا الجميلة وهى إحدى أفراد هذه الأسرة السعيدة التى يعيش جيمى بينهم لنفسحه وليقضى حاجته وهى تحمل له حاجياته... المقشاة المخصصة لقضاء حاجاته... والكيس النايلون الذى تضع فيه هذه الحاجة... وبينما هو يقضى حاجته شد السلسلة وخرج عن طوقه مهرولا فهولت وراءه كى يعود لطوقه... ولكن للأسف صدمته عربية جيب... والتفت الأسرة للمكومة بكاملها حوله واستدعوا الطبيب واستعاد جيمى قواه... وتعرف بعد أن فاق من غيبوبته على ريتا وميلين وفيفيان وستيفان الأسرة التى تحتويه... ونصحهم الطبيب بأن يأخذ راحة ليخرج من الصدمة التى لحقت به... وكتب لهم روصة للعلاج... وبالفعل تم اختيار الوليفة التى تناسبه... وتم الاتصال بصاحبة هذه الوليفة التى تبحث لكليتها عن وليف هى أيضا وكانت مشكا هى للكلية التى من نصيب جيمى...

وصلت ليغا صاحبة الكلية المنشودة للوليفة لتلقى بالكلب جيمى المكتتب فى إحدى الفنادق المخصصة للكلاب هنا فى العاشرة صباحا ويتم التعارف بين الأسرتين والكلبين، ويتم حجز حجرة لهما، وتجلس الأسرتان فى الرسيشن حتى يتم المراد...

وفى الساعة السادسة مساء... يدفع ستيفان... رب أسرة العريس جيمى ٣٠٠٠ دولار حجز الحجرة والإشراف والكشف وروصتة للفيتامينات... وحبوب الضحك التى تسبب له النشوة... والألعاب التى سترافقه والحقن المقوية التى أخذها... والطعام الذى قدم له والمشروبات والذى ارتداه + ١٠٠٠ دولار مدفوعة بدون وصل ليد ليغا ثمن تأجير كلبها الذى أسعف جيمى...

ويخرج جيمي في السادسة مساءً ليجد الأسرة التي عادت إليها
سعادتھا في انتظاره وقد استرد صحته تماما وارتنى طوقه ويكت ريتا
وهي تحتضنه وتقبله من فمه وهو يلعبها بلسانه بعد أن دفعت غرامة
٥٠٠ دولار ثمنا لخطئها وخروج جيمي من الطوق.

نسيت أن أقول لكم من يترك كلبه يتبرز في الشارع فهو ملزم
بنفع غرامة... ومن يعترض أو يخالف للقانون يقدم للمحاكمة وقد
يصل الأمر للسجن وقضاء العقوبة...

الكلاب هنا يسمونها my baby يعني ابنهم... فالكلب هنا يعتبر
ابنهم...

ها قد وصلت فهذا هو المكان الذي أريده vally vorge الوادي
الذي دارت فيه الحرب بين جورج واشنطن والإنجليز وانتصر فيه
الأمريكان وتم تحويله من ساحة حرب لجنة من الغابات والأشجار
الممتدة... وشقوا فيه الطرق الطويلة والممتدة... والتي أصبحت مكانا
يتريض فيه الأمريكيان وتجرى فيه العربات في خفة ورشاقة...

فالأسفلت هنا لو لحسنه بلسانك فلن يتسخ لسانك من شدة
نظافته... أوقفت العربية... وبدأت الجرى والتريض مع مئات
الأمريكان والأمريكيات شبابا ونساءً وبنات... في هذا المكان الرائع
والذي كان من قبل مخابئ وترسانات للمحاربين... في حرب استمرت
عاما كاملا...

انتهيت من تمريني اليومي والذي اخترت له هذا المكان التاريخي
اليوم وركبت العربية... ولقد لفت نظري ظاهرة الحلقات التي يلبسها
الرجال والنساء في أماكن غريبة.

ويقولون هنا من يلبس حلقا في الأذن لليمنى فهو موضة... أما من يلبسه في أذنه اليسرى فهو gay يعنى شاذ جنسيا (متعاص رجل).
فما بالك ببناات ونساء يضعن الحلقات في حلمات ألدائهن... طيب نقول ليه على من تضع خرزة مثبتة في منتصف لسانها وتتباهى بها وتبرز لك لسانها كثيرا عندما تضحك حتى تستعرض خرزتها المغرورة في هذا المكان الطرى والحساس...

والا اللى شبتها السفلى غرزت في منتصفها حلقا... بالله عليكم كيف تأكل وكيف تُقبل... جنون ما بعده جنون... واستخفاف ما بعده استخفاف...

وُول مارت... ومارشال... ودرجُ إمبريم - وواو... وجانيت... وجونارنرذ... أسواق لم أشاهدها من قبل مع الشلة التى أقسم معهم واليوم أدخلها بمفردى...

إنها ليست بأسواق ولكن قل ميادين سياحية على شكل أسواق فالمولات هنا أسواق سياحية... ومع كل جنسيات الدنيا هنا أسير معهم فالمول أو السيل أو السوبر ماركت طويل جدا وعريض جدا ومريح جدا وملء بالعز. فأسواق أمريكا هنا كلها عز طافح... طفح ما بعده طفح...

كل شيء تجده أمامك ولا يوجد من يبيع لك، فأنت الذى تشتري بنفسك كل شيء وعندك مئات العلامات التى تكلك على ما تريد فى نظام دقيق وسهل للغاية وتحسن بالنشوة وأنت تشتري فأمامك الملابس... وهذه شرائط الفيديو... وهذه هى الأدوية والفاكهة ولذوات المكياج والأجهزة الرياضية والأحذية والكتب والسجاجيد والحلويات

والنظارات... والأشجار والتحف والمراتب والأنتريهات ومطاعم زى
ما أنت عايز... ومئات الأصناف من الأكل المطهى واللعب المثيرة
والغريبة...

اليوم أحسست بالجوع بعد تمرين الرياضة للشاق هذا... وكان
على أن أكل داخل هذا السوق السياحى العالمى الذى أنا فيه واسمه
(giant).

وبينما أنا أكل وجدت أمامى أسرة أمريكية مكونة من أربعة كل
واحد يزن من ١٥٠ إلى ٢٢٥ كيلو... فهم يعشقون الأكل... وإحنا
كمصريين ولا حاجة جنبهم... وأصبت بفزع من هول هذه الأطباق
الكبيرة التى توضع أمامهم وهذا العلو فى الطبق لم أشاهده من قبل،
حتى طبق السلطة الذى أراه بجانبى عجيب وغريب... سأصفه لك
وبدقة وعينى على الطبق (خذ عندك) جينة بيضة... جينة شيدر...
جينة صفرة... جينة حمرة... زبدة... كرفس... بقونىس... فجل
أحمر... جرجير... أنشوجة... ليمون... جمبرى صغير... يرتقال...
بيض... ترمس... فاصوليا حمرا... خيار... قوطه... خص...
مسترده... كارى... خبز... جنزبيل وبروكلى أخضر...

وايه دا كمان مش ممكن أربع أطباق حلويات وعلى رأى شيرى
(ودع أهلك) والطبق اسمه The original fruit flower bouquets
كل أنواع الفاكهة المحشوة بالشيكولاتة الغربية والكريمات والمارون
جلاسيه والفتسق وعين الجمل والأراسيا والكريب موسيت...

طب أقولك إيه بقى عن أكواب البيبسى الضخمة والطويلة جدا
والمفروس فى وسط كل واحدة شفاط طويل عريض عشان يشفطوا...
بعد ما يتمرغوا فى الأكل...

مرت يدى على البانفلت المكتوب فيه المأكولات وأسعارها...
ليه الجمال دا... معقولة بانفلت... دا كتاب ممتع، مش بانفلت كله،
إعلانات مثيرة ومرسومة بألوان غاية فى السخونة عن الأزياء
والكمبيوترات والأحذية وأسعار الشقق والفلل والخواتم السوليتير
والكلاب المفضلة مع برجك والعربات والماكياج والوشم وأسعاره
وأكل الكلاب والفيران البيضاء وعناوين المحامين والأطباء...
فالمحامى والطبيب هنا يأخذون أعلى الأسعار...

والعجيب فى البانفلت إعلان عن مطعم أمريكى فخم فى فيلادلفيا
ويقولون فى الإعلان إذا أردت أن تأكل أكلة العمر لتصبح نكرى
تكتبها فى مذكراتك فعليك بمطعم... The cheese cake factory
فأسعارنا تبدأ من ٢٠٠ دولار إلى ٥٠٠ دولار للفرد الواحد... وهو
يقدم وجبه واحدة فقط فى اليوم وهى الغداء... والمطعم يحوى ١٠٠٠
كرسى وطوله ٢٠٠٠ متر.

المشى هنا متعة فالشوارع طويلة طويلا ما بعده طول...
والمولات طرقاتها مثل الشوارع طويلة وممتدة... مما يساعدنى على
مواصلة الريحيم والمشى باستمرار لأن كل ما حولك متعة فى متعة...
خرجت من المول بعد أن تناولت غذائى كى أتمشى قرب إحدى
الأحياء المجاورة فشاهدت عربة حديدية كبيرة جدا وضخمة وعالية
الارتفاع... فما هى قصتها؟

هي عربة تخفى في باطنها خطافين حديديين مقوسين وكبيرين
كتابى الفيل يتسلان ببطنه متجهين قبالة صناديق الزباله الحديدية
الكبيرة الحجم والمثبتة على الأرض... ويدخل هذان اللذان فى مجرى
جانبى الصندوق حتى يتمكننا منه تماما وتبدأ عملية رفع هذا الصندوق
للضخم المعبا بأكياس الزباله مرتفعا إلى أعلى ثم أعلى حيث يتم فتح
للصندوق وقلبه وإفراغ ما فيه كاملا داخل تجويف العربة الحديدية ثم
يعلق الصندوق ويعود ببطنه إلى مكانه ثم يتم سحب الخطافين الحديديين
ليتوجها إلى الصندوق الثانى ثم الثالث... وبعد أن تنتهى مهمة تفريغ
الزباله بهذه الطريقة الآلية دون وجود بشر سوى السائق فقط... وليس
معه مساعد... تتطلق العربة لحال سبيلها...

يه للى ممكن نقوله دلوقتى... جانتا نيلة فى حظنا للهباب...
المكان الذى أتوجه إليه الآن هي صناديق الجرائد... الجرائد كلها
فى صناديق حديدية وكل ولاية لها جرائدها... فولاية بنسلفانيا يصدر
فيها يوميا ١٠ جرائد... وما عليك إلا أن تضع ربع دولار ثمنا
للجريدة التى تريدها وتكس زرارا لتخرج لك الجريدة... يعنى قارة
امريكا وعاصمتها واشنطن تصدر ٥٢٠ جريدة يوميا... فى الـ ٥١
ولاية والتي يحكمها حاكم واحد هو بوش الابن...
وإليك بعض ما تكتبه الجرائد هنا:

- زواج عريسين اليوم فى صحيفة زباله... وفى الزباله سيتم
العرس إذا أردت أن تشاهد فتوجه إلى هذا المكان...
- تم إنزال للقطه فيكس من الدور السبعين دون إصابات حيث
توجهت لها عربتا مطافئ وإسعاف وحضر هذا الإنزال ٣٠٠٠

شخص وتم تسليمها لروزيتا صاحبته التي أفادت من الصدمة بعد أن تسلمت قطتها الطائشة...

- مركز دراسات الهجرة بواشنطن يؤكد أن عرب أمريكا هم الأكثر ثقافة. فخصف المهاجرين الذين تتراوح أعمارهم ما بين ٢٤ و٤٦ سنة تلقوا دراسة جامعية هذا بمقارنتهم بالمواطنين الأمريكيين في نفس فئة العمر... وإن القادمين من الشرق الأوسط بدلوا في الهجرة للولايات المتحدة الأمريكية منذ ما يزيد عن مائة سنة... وقد اختاروا عام ١٩٧٠ ليكون نقطة البداية للدراسة لأنه العام الذي لجرى فيه أول احصاء بعد صدور قانون الهجرة لعام ١٩٦٥...

ويقول ستيفن كاماروتا واضع التقرير إن الاهتمام بالهجرة للولايات المتحدة لا يزال كبيرا في جميع أنحاء الشرق الأوسط حتى بعد الحادي عشر من سبتمبر...

وإن الأغلبية الساحقة من المهاجرين الحاليين من الشرق الأوسط هم من المسلمين... وكان المهاجرون الذين وصلوا في أواخر القرن ١٩ وأوائل العشرين من الموارنة والمسيحيين الأرمن والأقليات اليهودية القادمين من دول إسلامية...

وإن للرجال المهاجرين من الشرق الأوسط والذين تتراوح أعمارهم ما بين ٣٠ و ٥٠ سنة يحصلون على متوسط دخل مماثل للمواطنين الأمريكيين... وكانت معدلات المهن الحرة بين المهاجرين من الشرق الأوسط أعلى من مثيلاتها بين المواطنين الأمريكيين أو المهاجرين عموما من جنسيات أخرى...

وقد يكون تقليص الهجرة معقولا لكن يجب أن يطبق بإنصاف على جميع الفئات... ويجب تطبيق قوانين الهجرة على جميع الأشخاص بشكل متساو وليس على القادمين من جزء معين من العالم فقط.

يقول أحد العناوين في الصحف الأمريكية، في السابعة مساء يواصل التلفزيون الأمريكي محاكمة طفل فلوريدا ١٢ عاما لكسى كنج المتهم بقتل والده بعضا هوكى بمساعدة أخيه ١٤ عاما وذلك لأن أباهم اكتشف أن ولديه مصابان بالشنوذ الجنسى مع صديق والده، وعندما اكتشف الأب ذلك فى ولديه قام لكسى كنج بقتل والده وهو نائم... واليوم وبعد أسبوع من المحاكمة على شاشة التلفزيون وفى السابعة مساء ستصدر القاضية للحكم على الجاني لكس كنج...

لقد تعلمنا أن الحرية تنتهى عندما تبدأ حرية الآخرين... فانت حر ما لم تضر... أما التحرر فهو كل شيء يخرج عن المألوف بوقاحة... ولقد ميز الله الإنسان عن سائر مخلوقاته بالعقل وتحضره... فهناك برامج عن الأبناء الذين يفاجئون بعد سنوات عمرهم بأن أباهم ليسوا بأبائهم... وأن هذه الأم ليست لهم... وتكون للصحة مجسدة أمامك على الشاشة حيث الكل يعترف وينكشف السر للناس... وهذا برنامج ساخن جدا يقدمه هولزد ستيرن عن الأمهات التى تساق بناتها وتدافع الأم أمامك على الشاشة وكذلك البنات تدافع عن لها وشنوذا... وهكذا تسقط الأمومة من على عرشها...

وهذا شاب متزوج وعنده ٣ اولاد أتى ليعترف أنه يخون زوجته مع اثنتين ويأتون بالزوجة ليعترف الشاب أمامها وهى لا تعترف...

ويأتون بالاثنتين الأخريين اللتين يباشرها فيدخلان في زهو ويقبلانه وترى الزوجة هذا المنظر وهات يا ضرب وقد وقف رجل بوليس طويل عريض ليفك الاشتباك...

وهذا برنامج وهو عن امرأة تشرح في سعادة للمنيع عن عملية لجرتها في شفتى الـ vaging لتصغيرهما كي ترضى حبيبها... ويسألها المنيع اشرحى لنا الآن كيف تتم العملية بينكما بعد أن تم تصغير المشفرين... وتشرح في بساطة ووقاحة وإباحية وكأنها تشرح لك درسا يفيدك في محو الأمية...

إن الديمقراطية والحرية والتحرر هنا على أشدها فالإنسان هنا بالديمقراطية يصبح رب أفعاله وصانع مصيره... فهذه فتاة في الخامسة والعشرين من عمرها رائعة الجمال أيضا... وهذه قائمة كبيرة تحوى ١٠٠٠ رجل وامرأة وشباب وبنات وأطفال من الجسمين جاعوا ليشاهدوا هذا الزواج الذى سيتم الآن أمامكم وعلى شاشة التلفزيون ويشاهده الملايين في كل الدنيا...

حيث تتقدم امرأة ذات هيبة واحترام ووقار تشبه المأنون عندنا لتوثيق هذا الزواج الشرعى بين البننتين اللتين ستزوجان الآن...

ويصفق الموجودون فى القاعة بشدة وحماس وحرارة. ومن شدة الحماس خرج هبو صهد التصفيق لى وجهى حتى تصعب فزعا من هول ما أشاهد حيث تردد العروسة:

سأجملك تعيش معى فى سعادة...

والعريس الأثنى يقول لها وأنا سأساعدك مدى العمر.

وبالتالى تم تحديد من الذكر ومن الأنثى...

ويقبلان بعضهما فى عنف وتأجج ويغيبان عن السوعى والكل
يصفق وخاصة ولد وولدة للعريس وولد وولدة العروسة ويبدأ كل
الحاضرين فى الرقص معهما تأكيدا وتتوجا لعلم مبادئ الثنوذ
الجنسى... الموتى شرعا وعلانية أمام العالم ويبت من خلال
للمشاشات...

ويتم إذاعة هذا العرس طوال الأسبوع عشان اللى ماشافشى
يشوف... واللى شاف يقول للى ماشافش... لحد ما يشوف...

(٩)

توقفت بى المرسيديس للزرقاء أمام سوپر ماركت طويل وعريض
لأشرطة الفيديو... لأرى ما لم تره عينى من قبل... أشرطة فيديو عن
النباتات والحيوانات والأطفال والموسيقى والرسوم المتحركة
والجرافيك... ولكن هالنى هذه الكمية من الأفلام... وهذا كتيب عن
عدها ٢٥٠٠٠٠ شريط فيديو... فى صالة ممتدة امتداداً نتوه فيه...
وتأمل كما تشاء... وهَيِّص... وسألت: أين القسم الخاص بشرائط
السينما... فقالت لى إحدى المسئولات الجميلات... هناك...

وبدأت أبحث عن فيلم Beautiful Mind لرامبل كرو... وكنت
قد شاهدته على شاشة التلفزيون... واليوم أريد شراءه...

وبينما أنا أبحث عن فيلم جيم كارى... وجيف داتلرز... للغبى
والأغبى... تعبت فى العثور عليه فقلت بصوت عال... أين فيلم رمب
رمبر... فقالت لى فتاة أمريكية جميلة فى السابعة عشرة من عمرها

ابحث عن الجديد... هل شاهدت نزلى واشنطن... وفرى مورجان...
 وويسلى سنييس... ودانى جلوفر... هؤلاء السود العظام...
 سوف اشترى أفلاما لنيرو... وأودى مورفى... وسيجال...
 وباتشينو... وهوفمان... وساندرا لوك... ومورجان... وسوف أشاهد
 قريبا مسرحية لقطط cats فى مسرح ميريام ثيستر بيروودواى...
 والبؤساء والمسيح، أرقى النجوم وايغيتا...
 - لقد مللنا كل هذه الأفلام... وعليك أن تتعرف على الجديد.
 - وما هو الجديد؟
 - هذا هو أول شريط سينمائى طويل بالكمبيوتر... وليس بالرسوم
 المتحركة...
 وهذا فيلم لويل سميث...
 وهذا فيلم لبروس ويلز...
 وهذا فيلم لروبين ويليامز...
 وهذا فيلم لهاريمون فورد...
 وهذا فيلم لبراد بيت وجولى روبرتز...
 واشترى هذا الفيلم لراسل كرو وميج ريان
 وهذا فيلم رائع لستيف مارتن... وهذا فيلم جميل ليتم أن
 وهذا فيلم لينكولاس كيج وبريد حتافوندا
 وفيلم جنيفر لوبيز... ولتى أمنت على مؤخرتها بمليار دولار...
 وإذا كنت مازلت تحب توم هانكز فاشتر له هذا الفيلم... الذى
 يمثله مع ميج ريان...
 وهذا فيلم لأنم ساندر...

وهذا فيلم للكوميدي روننى رانجر فيلد...
وهذا فيلم لمايكل وجلاس... وانيت بينج...
ثم قالت: أنا عن نفسى... مللت كل شىء هنا فى أمريكا... اسمى
ليزا أمريكية...

- وأنا محبى، مصرى الجنسية Actor... ممثل...
- أنصحك مانت ممثلا أن تشاهد هذا الفيلم أكثر من مرة
Changing lanes تغيير المسار "لين أفلك... وصامويل
ماكسون... وفيلم للراعبة... لوبر هذه النجمة السوداء الحاصلة
على جائزة الأوسكار... ثم أضافت: وعندما تشاهد فيلم تغيير
المسار راقب جيدا للممثل الأسود... والذي تعدى السبعين...
صامويل جاكسون لترى كيف يكون فن التمثيل... ولأنك
أبيض... فَعَلْم كيف يكون الإبداع من بين أفلك.
اشتريت كل هذه الأفلام... وشكرتها وانصرفت... حتى لا
أزيدها مئلا، لم أكد أعلم أن هناك أكثر من قناة للأفلام العالمية هنا...
حتى جلست أمام شاشات التلفزيون الأمريكى وشاهدت ما لم أشاهده
من قبل من أفلام... فالتلفزيون الأمريكى فى أفلامه ممتع ممتع ممتع
ويعلمك ويتفكك ويجذبك لشاشته جذبا ولا تستطيع أن تقاوم الجلوس.
لماذا الملل يا أختى ليزا برغم أن كل خيارات الدنيا وتسهيل للحياة
هنا... والحرية والفرص. أعتقد أنه الزهق من الشعب... لقد شُبعَتْ
وبسرعة فكل شىء أمامها سهل ولقد استفتنت لذة الشعب... لأنها أخذت
كل شىء وبسرعة فى هذه السن للصغيرة وأم تُعان لتعرف لغز

الحياة... ولم تُحرم من شيء لكى تصل إليه ببطء بالإرادة والسعى
والمثابرة...

لقد لخصوا لها للزمن وكثفوه فى جرعة واحدة وضغطوه لها فى
كبسولة جميلة... ومن شدة الشبع وهذا العز الطافح أصبح البحث عن
اللامعقول فى الاستخفاف بالإنسان وقيّمته... وتحرير جسده... وتبرير
العبث بالحلقات واللوشم والخرز والسحاق ولشذوذ والعرى ثم تحويل
هذا التبرير لميزة بعد أن نمت منطقتُه ليقبله المجتمع...

اقتناوك للعربة والزوجة أهم شيئين هنا فى أمريكا... وإلا
ستعانى الوحدة أى وحدة... قل العزلة أى عزلة... إنها عزلة ما
بعدها عزلة إنه الموت السريع... فالأمريكى شخصية مبرمجة ولا
يحب الاندماج... ولا أخفى عليك... هناك فرق كبير بين أمريكا
وأوروبا.

نظام الخدم داخل المنازل غير موجود عليك أن تخدم نفسك
بنفسك وتشتري حاجياتك بنفسك... وتعود مرهقاً فهم يعشقون الأسواق
والأكل فيها، لأنهم مُستهلكون بعد العمل ولا توجد الطاقة energy
لكى يطبخوا ويغسلوا وينظفوا المنزل ويشرفوا على الأطفال... ثم أن
الوقت لا يسعفهم، لذلك تجد هنا للصينلية بها من الدخل مطاعم تقدم
مختلف الأكلات السريعة... تساوت المرأة بالرجل فى كل شيء، فهنا
للمرأة تقود الطائرة وتحارب، وقاضية ولها سلطات أقوى من الرجل،
وتطلقك فى دقيقة... العقل هنا هو كل شيء، فالمشاعر جافة. وإذا كان
ولا بد منها فإن لها حسابات دقيقة... إذا من أين يأتى الحنان والسدفاء

ورفة المشاعر؟... من الكلاب والقطط والفئران البيضاء والأطفال...
ذلك لأنهم يعطون ولا يأخذون المقابل ولا يتحاورون...

هنا الأمريكان شكاكون في كل شيء ويتسألون عن معنى كل
كلمة وليه وعشان إيه... فالحوار معهم طويل جدا ويرهق الأعصاب،
خاصة فيما جهلونه عن الآخر حتى يتيقنوا من صحة ودقة المعلومات
ولكنهم شديدا الاحترام لخصوصيات الآخرين.

وأنا أفود العربة لرى على جانبى الطريق مقابر الموتى، والمقابر
هنا جميلة (وترد الروح) وكأنك فى مكان سياحى ملىء بالانتخف...
وعلى الجانب الآخر مقابر أكثر جمالا... إنها مقابر الكلاب... ولفنت
نظرى مقبرة جميلة فأوقفت العربة واتجهت للمقبرة كى أقرأ... قصة
حياة هذا الكلب...

تشيно كلب دوبر ألمانى توفى فى عام ١٩٩٠ كان يعيش عن
التاجر الأمريكى سلوفان والذى فضل أن يعيش مع الكلب تشينو بعد
أن طلق زوجته ميلدا والتي كان يحس أنها رجل مثله من شدة النقة
بنفسها ومساواتها به فى كل شيء وفرض سلطتها عليه... فطلقها دون
أن ينجب منها... ومات... وقبل أن يموت كتب كل ممتلكاته لتشينو
١٠ مليون دولار... ولكن تشينو لم يهنا بهذا المبلغ فقد مات بعد
بأسبوع حزنا عليه...

وأخذت الدولة كل ممتلكات الكلب لتصرفها بعد ذلك على
مؤسسات رعاية الكلاب... فى كل بيت أمريكى كلب أو كلبان وادبى
عقلك ولصعب، ذلك لأن الكلاب هى الأكثر بهجة... والكلاب...
تعطيك القبلات...

والكلاب لا تشكو أبدا من تركها وحدها...
والكلاب تعرف كيف تأخذ الأمور ببساطة...
والكلاب تجعلك تشعر بأنك أهم شخص في العالم...
والكلاب لا تريد إلا أن تحبها...
والكلاب أحسن صديق للإنسان...
والكلاب تسعد دائما عندما تراك عائدا للمنزل...
والكلاب ممكن أن تكون أبطالا... وهي دائما راضية لا تعرف
الطمع... تفكر بهدوء، ذلك لأن لها شواطئ تستحم فيها وتخرج من
المياه مستلقية على رمال الشاطئ؛ مسترخية نائمة حالمة في هدوء وهي
تنظر لوليفتها في حب...
الكلاب تحبك أيا كنت... رأيت في أمريكا أجمل كلب Shish
Tza ذا الشعر الطويل والكوكر ذا اللون الذهبي والبنكسواه الأقرام،
وأضخم كلب في العالم وهو الماستيف نابوليتان والروود فايلر الألماني
كلب الحراسة الشرس وكلب سانت بيرنارد الأبيض والولف بلاك
جاك والجريغون والبوكسر وكلب الجيب pocket dog والجرمان
شيبرد.

ولا أنسى الكلب الصيني النادر صغير الحجم وأصله من التبت
وهو مطيع وهادئ ويحب الأطفال ولونه ذهبي عيار ٢٨...
Dogs are Cheerer – uppers.
Dogs love sticking their
heads out car windows. Dogs
give you wet, sloppy kisses.

Dogs are cheerer-upper.
 Dogs love sticking their heads out car windows. Dogs give you wet, sloppy kisses.
 Dogs never complain about leftovers. Dogs know how to take it easy. Dogs make you feel like the most important person in the world. Dogs just want to be loved. Dogs are man's best friend and a fire hydrant's worst enemy. Dogs are always glad to see you come home. Dogs get thirsty every time they see a toilet bowl. Dogs like to have their bellies scratched-- just like people. Dogs can be heroes. Dogs look at you with big brown doggy-eyes. Dogs love you no matter what.

الدولة هنا هي الأب والأم والراعي الرسمي للجميع تشرف على كل الجنسيات وحتى أخذ حقوقهم من خلال قوانينها... المألوفة.
 الاحترام هنا متبادل... وعلى الزوج أن يحترم زوجته وبناته وابنه... ولو اشتكى أحد فالدولة تتدخل لتوقف كلاً عند حده... وتعاقب للمخطئ... وفي الطلاق يقتسم الاثنان كل شيء... والأطفال ترعاها الدولة... والبنك يصدر كرونا وهذه الكروت تسمح لك بالصراف في

حدود تبدأ من ١٠٠٠ دولار حتى ٥٠٠٠ دولار... واشتر ما تريد فكل ما أنتجته البشرية وأى شيء تحلم به هنا فى أمريكا...
وتحاسب بنفسك من خلال ماكينات إلكترونية على ما اشتريته إذا أردت الماكينات فقط مرر الكارت الكريدت من أمامها، والرشوة هنا غير موجودة لأن هناك قانونا يحكم العلاقة بين الناس والسلطة...
التليفون هنا هو وسيلة اتصالك فى إنجاز كل ما تريده... ورقم ٩١١ لطلب أى مساعدة تصلك فى الحال وإنقاذك من أى ورطة...
وحقوقك كإنسان مضمونة ولا تلاعب بها إطلاقاً، فالذى يعمل ينعم ويسكن ويمتلك عربية وأنت مؤمن وأمن تماماً... مانت تسدد ضرائبك للدولة تسهل لك كل شيء ليعود عليك كل شيء بالرفاهية...
الشعب كله مبرمج وليس لديهم وقت للفسح سوى السبت والأحد. الاستيقاظ ٦ صباحاً... العودة للمنزل ٤ بعد الظهر ثم الذهاب للأسواق والعودة من الأسواق بعد شراء احتياجاتك لطهى الطعام والإشراف على الأطفال ثم الأكل، وعندما تضع شريطاً لمشاهدته أو تفتح التليفزيون يكون النوم قد دق بابك فى التاسعة مساءً لتنام... كى تستيقظ مبكراً فى السادسة موعد ذهابك للعمل المقدس...

(١٠)

دق جرس الباب... الكلى يجرى ماذا حدث؟ ننه تجرى وشيرى
تجرى ومهران يجرى... ففقت واقفاً سائلاً: مالكم فيه إيه؟

فوجئت ببوس على الخدود وقبلات كثيرة... وهم يصيحون تعال
يا محبى بسرعة... بسرعة...

قالت نونو: أفتملك... لورانزو... ماريانا... جورجيت...

وقدمتى شيرى لهم قائلة:

أستاذ محبى إسماعيل movie ثم قالت لى: لورانزو زوج
ماريانا وجورجيت أخت ماريانا الكبرى... وهم يونانيون...

فرحبوا بى وقد جحظت عيونهم علا سماعهم كلمة (movie)

يعنى نجم...

وقفزت شيرى مخرجة الألبوم الذى يحوى صوراً تذكارية عن

أشهر أفلامى... انتهت جورجيت من قرّ الألبوم ثم قالت لى:

- لك وجه عالمى... لماذا لا تمثل فى السينما العالمية...

- قلت لها: أنا عايش أصلى فى مصر... أنا مصرى...

- كاليفورنيا جنبك أهى ٦ ساعات بالطيارة...

- أنا أتحدث الإنجليزية، لكنى لا أجيد التحدث بها بسرعة مثل

الأمريكان.

- سنتعودها... خسارة ما تمثلى مع العالميين. ياما سود ما حنش

كان يسمع عنهم، دلوقت نجوم ومكتسحين البيض: أورى

مورفى وصمويل جاكسون... ووبى... مين كان يسمع عنها؟

ولخده الأوسكار!... وكمان إنت طول بعرض ووشك مُعَبَّر

جداً...

ثم قالت: أنا أعرف بعض شركات الإنتاج هناك ولسى أصدقاء
وصديقات... حاول... وسرحت فيما قالت... كاليفورنيا... جاتلى ع
الجرح ودى إيش عَرَفها إبنى رايح كاليفورنيا...
قالت لها نئه: ماهو رايح كاليفورنيا بعد أسبوعين...
فردت جورجيت: خلاص نساافر سوا وأعرقه بواحدة
صاحبتي هناك تستضيفه...

فقلت لى نئه: بس يا عم خلاص فُرجت...
فقلت لجورجيت باليونانية - ضمن إحدى الكلمات التى
كنت أحفظها وأنا أمثل قيلما فى اليونان: كلا كلا يعنى أهلا أهلا
باليونانية...

فقلت لى جورجيت: كلا كلا... بُولى كالا... يعنى أهلين...
وسألتنى: أنت تتحدث اليونانية؟ فقلت لها: يدوبك كلا كلا وكلمة أخرى
إف خرسى بُولى... وأعرف شارع اسمه ميخالا كوبولى ويس...
فضحكت بشدة...

انسلختُ منهم، فلقد كنت أفكر فى القادمة سلفانا والمخرج الذى
أنتظره وينتظرنى، فاستأننتهم وتوجهت لدورة المياه وأغلقت على
نفسى الباب جيداً وجلست على البيديه أفكر بتركيز... محاوراً نفسى:
للفرصة آهى جاتلك وع للجهاز... وكمان واحدة حتوصلك لحد
كاليفورنيا لما رايك؟...

أكون لو لا أكون... فقلت لنفسى: تمهل حتى تقابل سلفانا...
ونشب حوار فى داخلى:

هى سلفانا حتعملى إيه أكثر من إنها حتصورنى؟

بس الصور المخرج عاوزها...

صح...

طيب وبعدين...

وبعدين تخرج من الحمام وتروح تقعد مع وش المتعد اللي هلت عليك... إنت مش وش لعمة وإلا إيه؟...
أيوه بس هنا الناس تتحدث عن الأشياء الهامة وكأنها أشياء عادية جداً.

فقلت لنفسى: صح، فهناك فروق فى المفاهيم الحضارية بينى كمصرى وبين يونانية أمريكية تعيش هنا فى الغرب منذ سنين... هناك فرق...

خرجت من الحمام وعدت لمكانى بينهم وأنت علب كبيرة فتحوها فكانت الليبسا ومكتوب على العلبه بتسا Diet ريجيم... وبدلوا ياكلون وبدأت ألتهم بيئمتى، فلقد كانت رقيقة وحمراء ويفوص فيها الزيتون الأسود...

وجاء موعد برنامج الفضائح المثير جداً لمقدمه جـيرى سبلنجر... ففتحوا التليفزيون لنشاهد. والمعروض أمانا الآن لشاب خان زوجته مع فتاة ستريب تيز، لأنه أحبها وطلبت منه أن يكون هو أيضاً مثلها... فوافق وجاء ليعترف بذلك لزوجته، وتأتى للزوجة أمامك على الشاشة، وبدأ الشاب فى الاعتراف، فقضت زوجته لضربه، بينما هلت علينا فتاة الاستريب تيز التى أحبها، وظل يقبلها وتقبله أمانا وبلا رحمة وبدأت تطلع ملابسها، وعندما هم هو بخلع ملابسها تدخل رجل الأمن الذى يُحجّر الخدق، وولعت، وهات يا صراخ

وضرب وتثليق والجمهور يصفق مصدرا صوتا واحدا / whore
whore (يعنى شرموطة) يقولونها لفتاة الاستريب تيز، بينما الزوجة
المخدوعة تقف فى ذهول بعد أن صرخت وبكت والمذيع فى غاية
السعادة بما قتمه لنا من نَس.

قلت معلقاً: يه القذارة دى! وعلنا؟! ما هذه اللدروس المستفادة
اللى يبثونها للملايين ويراها الصغار...
فردت ماريانا: عادى...

وعلق لورانزو زوجها: إنت أول مرة تشوف البرنامج دا؟...
أمال مسارح اللورنو هنا لما تشوفها حتقول إيه؟... هنا تتعرى البشرية
لأمامك وبوضوح...

قالت جورجيت: محبى... عشان تكون فنان عظيم لازم تكبر
مخك...

جورجيت هذه ناصعة البياض رائعة الجمال ذات عينين
خضراوين... فى الخمسين من عمرها...

كانت ننه ومهران وشيرى مازالوا يأكلون وهم يعلقون بققشات
على هذا البرنامج... حيث قالت جورجيت لننه: لو سمحتى
عاوزلكى دقائق... قامت نونو واصطحبت جورجيت اليونانية
داخل حجرتها وأغلقت الباب، بينما مهران وشيرى ولورانزو غطسوا
فى مناقشة حامية فى السياسة وما يقوله بوش وتهديداته... فتركت
المناقشة واستأنتهن ودخلت حجرتى... ومددت جسمى على السرير
واستلقيت على ظهرى وبدأت أفكر... ما هو القدر الذى ينتظرنى فى
رحلتى هذه المضئبة...

انتهت زيارة هذه الأسرة الجميلة اليونانية واشتركت في وداعهم حتى سيارتهم حيث قالت جورجيت وهى تسلم علينا: محبى... أدعوك على فنجان قهوة... لو سمحت اتصل بى، تلفونى مع نهلة... فهزرت رأسى دون أن أعرف ماذا حدث بينها وبين نهلة داخل الحجرة التى أغلق فيها الباب...

عدنا بسرعة وجلسنا نحن الأربعة كى أفهم ما المقصود بدعوتى على فنجان قهوة...

قال لى مهران: لست عاوزك.

قالت ننه: هى بتقول إنك مسيت أوتار قلبها وحتسافر معاك كاليفورنيا بعد أسبوعين وحتعرفك بشخصيات هامة فى كاليفورنيا...

قلت: وياه بقى اللى هى عايزاه منى؟

رد مهران: حاجة قصاد حاجة ما تفهم يا أستاذ إزاي ممثل ومش فاهم...

هكذا بسهولة تطلب المرأة هنا رجلا وعلنا ولما مرأى ومسمع الجميع دون أن يكون بينهما أى مشاعر حب...

وعلقت شيرى: إنت إنسان عظيم، لأنك لو كنت وافقت كنت حتخسر كثير، إن المرأة لها سلطات على الرجل ويوثق فى كلمتها فى المحاكم.

قالت نولو: (كازانوفا بنسلفانيا)... محبى إسماعيل... ممكن

أعرف إيه بقى سر جانبيتك؟...

فقلت مازحا: لإننى مثل الليليكان

قالت لى شيرى: وماهو الليليكان هذا؟

- البيليكان يا شيرى هو طائر جميل يقدم الغذاء للصغار وعندما
يجوع يقطعون منه الكبد وتتهش الصغار فيه تأكله... ويا
نونو... على الإنسان أن يصد ولا يضرب فإذا ضرب لا يوجع
وإذا أوجع لا يؤذى وإذا أذى لا يقتل.

قالت نونو: يا سلام ع الفلسفة...

- حاسس بخنفة...

- حاعملك كباية نعناع.

قامت نونو لتحضر لى كوب للنعناع بينما السماء كانت مظلمة
والبرد شديداً.

نظرت إلى خالق الكون أناجيه:

يارب غارت النجوم

ولنت حى قيوم

لا تأخذك سنة ولا نوم

إهد ليلى وأيم عيني

(١١)

احسست لنتى أريد أن لكون بمفردى فاستأذنتهم واستأذنت شيرى
فى أخذ عربتها الكاديلك قاصداً King of Brasha واشترت ملابس
للتصوير أشكالاً واللوانا وشتى الموديلات لآكون فى أبهى صورة بـ ٦
آلاف دولار انفتحتهم من أجل أن آكون فى الفخم صورة غير مسبوقة.

وأنا أتذكر أسرتى التى وحشتنى والمفاجأة التى أخفيها عنهم
وسافرت من أجلها وهى إسعادهم بالـ ٢ مليون جنيه التى سئلتح من
أمر كثيرة مؤجلة بالنسبة لهم... وهم يعلمون مدى إخلاصى وحبى
لهم... فماذا سيكون شكلى وأنا عائد لهم لا قدر الله مقلماً وقد خسرت
كل شىء!؟...

صرخ التليفون مدوياً وجرت نهلة لتسمع، حيث أعلن الهاتف
"سلفانا"...

أغلقت نئه التليفون فى وجهها...

حيث علقت نئه: كفاية بقى مصايب... نابليون صحيح ما غلطش
لما قال فتش عن المرأة كل المصايب بتجى من تحت رأسهم...
ناقصينك يا ست سلفانا إنتى كمان...

صرخ التليفون ثانية، وعلا صوت نئه مغلقة السماعه يا سنى
مافيش حد هنا بالاسم دا، بينما سلفانا تعلن أنا سلفانا... لازم مستر
محيى يتصل بى دلوقتى للأهمية بخصوص كاليفورنيا...

قالت نهلة: هو دلوقتى نايم...

قالت سلفانا: طيب لو سمحتى صحّيه يكلمنى...

قالت نهلة: ما أقدرش أصحيه لأنه تعبان شوية وواحد حبايبه
مهنة... أصل أعصابه تعبانه...

فردت سلفانا: طيب لو سمحتى لما يصحى يكلمنى فى النمرة

دى... يكلمنى على الموبايل... فى النمرة دى: ٨٤٥٣٠٠١٧٨٩

فردت نهلة: Thank you...

ودخلت نئه المتعاطفة حجرتها، وكان مهران وشيرى يغطان فى النوم... وبدأ النعاس يداعب جفون نئه حتى راحت هى الأخرى فى النوم...
بينما كان محبى خارج المنزل فى عربة شيرى الكاديلاك بتسوق...

(١٢)

اشترت مسنماً أمريكياً كاتماً للصوت واستطعت أن أحصل عبر الإنترنت على عنوان منزل ويل ريموند هذا المخرج الأمريكى المرلوغ والذي أضاع على الوقت والنقود... وركبت الطائرة مسافراً لكاليفورنيا... نزلت من الطائرة وظللت أبحث وأبحث وأبحث حتى تعبت، وبينما أنا متعب مرت من أمامى فتاة أمريكية وقد غطى الوشم كل جسمها فسألتها Help me ساعدينى دلينى على هذا العنوان والمكان... فقالت لى اتصل بـ ٩١١ فاتصلت وقلت: Help me فدلونى على الطريق... استأجرت عربة حتى منزله وبعد نصف ساعة كنت أمام منزل المرلوغ... وظللت ساعات أنتظر حتى رأيته خارجاً من منزله متجها لعربته الجيروكى... وبسرعة خاطفة أمطرتة ثلاث رصاصات حتى خرّ أمامى صريعاً وظللت أصرخ: قتلته قتلته زى ما قتلنى... طارنى البوليس ولم يستطع اللحاق بى وأنا أصرخ: قتلته زى ما قتلنى... إلى أن وقعت من على السرير فجاءة ارتطمت رأسى

بالكرومودينو... وهنا صحوت من هذا الكابوس المفزع وعلى صوت نهلة التي لحقتني وهي في دهشة:

- مين اللي قتلته...
- ويل ريموند المخرج...
- قتلته إمتى؟...
- دلوقتي... تصوّرني شفنه مقتول... تصوّرني يا سبحان الله كأن شائسة عرض دخلت جوّه دماغى وشفت عليها كل الحادثة. رُحّت له كالبفورنيا وضربته ٣ رصاصات وقتلته زى ما قتلنى... كان هذا كابوساً رهيباً... بس الحمد لله فقت منه... ما كنتش أعرف إن القتل شيء فظيع إلا لما صحيت الآن ورجعلنى عقلى ثانى...
- طيب قوم اغسل وشك وثعلالّ نتمشى شويه...
- حاضر... حاضر...
- وبعد أن انتهيت من غسل وجهى قالت لى نهلة:
 - نتمشى على رجلينا أحسن؟
 - أحسن.
 - شايبنى لتغيرت والازى ما أنا؟
 - لتغيرتى كثير عن الأول يا نهلة...
 - ليه اللي لتغير فى؟
 - الوضع اللي انتى فيه مش هو دا وضعك.

- إنت أصلك ما شفنتيش من ١٥ سنة سافرت فيهم مع جوزى الله
يرحمه ٢٠ دولة فى أوروبا وعشت فى الخارج طوال للمدة
دى... أكيد كان لازم حاجات تتغير فى.
- بس جمالك زى ما هو وعينكى الخضرة زاد خضارها
وجمالها... كانت تحس بمعنويات مرتفعة هذه النهلة القمحية
للون والجميلة، لا هى بيضاء ولا هى سمراء، والتي تفوقنى
طولا ولم تكن بالنحيلة أو السمينة ولم يُصبها الترهل بعد...
نظرت لى كثيرا وهى تتأملنى ثم قالت...
- بس أنت اتغيرت كثير...
- للزمن...
- بس للأحسن...
- الحمد لله بس إنتى للأسوأ...
- طول عمرك صريح وجرىء... إزاي اتغيرت للأسوأ؟... إزاي
يا محبى؟
- بقى معقولة نهلة اللى كانت بتتمرغ فى العز والذلل والخدم
والسهر واللبس والفلوس ألقياها هنا فى أمريكا قاعدة تغسل
وتكوى وتمسح وتطبخ وتتصف الحمامات وعابشة مع جلياط...
- قل لى مين أروح له أو أعيش معاه بعد موت الدكتور جوزى
غير بنتى وحظها المهيب فى الجواز... بس والحمد لله أنا أتأقلم
مع أى وضع دلوقتى اتحط فيه لإنى شبعانة طول عمرى
ومعاش المرحوم جوزى ٢٠٠٠ جنبه.

- وليه ما بتتغلطيش هنا وانتى عندك لغات: تجيدين الإنجليزية والفرنسية؟

- ما عنديش green card... ما عنديش إقامة...

- ما هي بنتك معاها إقامة ولوقتى أمريكية وبتتغلط...

- بنتى لسه ماخدتش الجنسية الأمريكية، جوزها للكشميرى المسلم هو اللى معاه للجنسية الأمريكية... بعد ٦ شهور إن شاء الله حتاخذ الإقامة زيه وتاخذ الجنسية الأمريكية... وبتنى بتعرف زوى الإنجليزية والفرنسية وكمان الإيطالية... ومخرجة م الجامعة زوى ليمانس إنجليزى... وردا على سؤالك: ليه باطبخ وبامسح واغسل... عشان بنتى... لازم أخدنها ما ليش غيرها، وحيدة زى ما أنت عارف... والاثنين ببيجوا م للشغل هلكتين وأنا ما باشتغلشى، فلازم كلنا نتعاون مع بعض... وكمان حضِّع كل الوقت دا فى إيه؟... فى الحاجات دى، ولدينى بتسلى.

- بس أنا من تأملتى ليكى حاسس إنك بقيتى مغربة شوية... جريئة بتتكلمى مع الرجالة أكثر م الستات... ما عنديش خجل لما بتتكلمى...

- بابا ربانى على كده... الثقة فى النفس. ثم إن الرجالة لطيب م الستات وكمان الستات بتغير منى... نصى ببقى لسى صديقة واحدة مش عارفة... ثم قللى إنت شايغى باغلط فى إيه؟

- بالغلط دا أصله حاجة نسبية، مفهومه نسبى... يمكن الغلط بالنسبة لى... ما بيقاش غلط بالنسبة ليكى...

- وجهة نظر... ثم سحبت الموبايل الخاص بها وقالت لى: اتصل
بالنمرة دى... سلفانا...
- انترعت منها الموبايل واتصلت بسلفانا التى قالت لى: بعد دقائق
أكون أمام منزلك، فى عربتى خريطة تعلن لى عن خط سير الطريق
من نيويورك حتى منزلك من خلال صوت بشرى مسجل ينادى
ويعلمنى ويحدثنى طوال الطريق...
- وبينما نحن نسير صعدت بها منحنى جبلياً صغيراً ثم قلت لها:
دقائق وتصل سلفانا أمام المنزل.
- لماذا؟
- بناء على تعليمات ويل ريموند تجهز لى صوراً ترسلها له قبل
سفرى إليه... هانت يا ننه هانت.
- ولكن نهلة رمقتى بنظرة لم أفهم ما وراءها... بسرعة غيّرت
الموضوع وقلت لها...
- هذا هو الملعب الذى أمشى فيه وأجرى يوماً كل صباح.
فقلت لى نهلة...
- إنها مدرسة أطفال وهذا هو الملعب الخاص بهم...
- ولكنى لم أشاهدهم منذ شهرين كنت أكره فيه هنا...
- ولكن اليوم هو بداية العام الدراسى...
- تقدمت منا إحدى المدرسات الأمريكيات وقالت لنا فى أدب:
- اليوم هو بداية العام للدراسى للمدرسة، وهذا الملعب خاص بهم،
وإذا أردتم المشى حول الملعب فبعد انتهاء المدرسة...

وصلت سلفانا الأمريكية وهي تحمل كاميرا كبيرة ومعها طفل غاية في الجمال وقالت لي...

- هالو محيي...

- هالو سلفانا welcome...

ثم قدمت لي هذا الطفل:

- أرماندو... وهو الذى سيكون ابنك فى الفيلم كما أخبرنى ويل ريموند المخرج، وركبت العربة التى انطلقت بنا للأماكن التى يتم فيها تصويرى حسب تعليمات المخرج، بينما سلفانا تعطينى التعليمات...

اعدل شعرك كويس... ضم رجليك... اضحك... ثانية واحدة action ويتم التقاط الصورة... ثم تطلب منى تغيير هذه الملابس التى صورت بها بملابس أخرى حيث مكان آخر...

لا أخفى عليك غيرت ملابسى عشرين مرة حيث كنت أحملها معى فى شنطة كبيرة وسريعة الفتح، وكان يساعدى فى تغيير ملابسى أرماندو هذا الطفل الجميل والأكثر ذكاء...

ركبنا السفينة فى البحر وصولا لتمثال الحرية، ونزلنا وصدرت دعابة من أرماندو وكأنه مخرج يعطى تعليماته وهو يضحك قائلاً مقلدا سلفانا:

- مستر محيي تمثال الحرية وراك، لو سمحت إضحك... كمان...
أكثر... ثم نظر لسلفانا قائلاً بصوت عالٍ: action... وتم
التقاط الصورة.

وكذلك عند الإمبر ستيت... وشارع وول ستريت... وبحر
هدسون... وأمام البيت الأبيض كان أرماندو يضحكنا بحركاته
المدهشة والطريقة التي يُحَضِّرُنِي بها قبل التصوير، ثم كم كنا نضحك
أنا وسلفانا عندما يحزق بأعلى صوته قائلاً Action مع سلفانا،
والمشاهدون من حولنا يضحكون على هذا الأرماندو اللطيف
والمسلّي...

وفى طريق العودة لمنزلي قالت لى سلفانا: استعد... فلقد تم حجز
للتذكرة وستصلك فى خلال أسبوع من الآن، وستصل بك وريموند
سيخبرك بكل الإرشادات قبل وصولك... وسيكون فى انتظارك فى
المطار... وأرماندو سيسافر معك ليسهل لك أى عائق ويمسلك فى
السفر... إنه طفل فى الثامنة من العمر، صغير ولكن مخه كبير، فإديه
معلومات كثيرة من الكمبيوتر الذى تعلم منه الكثير، ولا تسمن أنه
سيكون ابنك فى الفيلم... ودعته وودعته ونيسى لرحلة العمر
لكاليفورنيا أرماندو.

أقتربت للمسافة وزادت تقى بنفسى، فإنا نجم وبطل فيلم ويل
ريموند المقبل، ولقد كنت أدرك تماماً أن المؤمن مصاب وأن الصبر
مفتاح الفرج...

وهاهى علامات الفرج تفوح بشائرها... يداى تقرب كى تمسك
بالـ ٢ مليون جنيه للعاصية... يداى هذه التى كانت تلعب بالفلوس

لعياً ولا أقيم لها أى وزن... الآن أنا فى أشد الحاجة إليها كى أقيم لها
وزناً واحترمها وأصونها ولا أفرط فيها كما كنت فى الماضى... فقط
تأتى...

عدت للمنزل سعيداً فرحاً لكى أخبر نهلة بما حدث...

- نهلة: اقتربت المسافة وسأسافر الأسبوع القادم ولا حجة فى
المبعاد.

نظرت لى فى جمود وقالت: شيرى سابت البيت

- وراحت فين؟

- ماقلتيش...

بينما كان فى الصالة يجلس أحد أصدقاء نئه فسألته:

- ومين اللي قاعد فى الصالة دا؟

- دا صديق من أصدقائى عازمنى على العشا.

- مصرى دا؟

- مصرى أمريكى.

- والعمل دلوقتى؟...

- مش عارفة...

- واللى قاعد برّه دا اسمه ييه؟

- محسن حسان عنده مطعم فى نيويورك...

- وحيمشى إمتى؟

- قاعد أصل فيه بيتاً بزنى...

- بزنى؟

- هو انتى بتشتغلى فى للبزنى؟...

- أيوه.
- عشان كده التليفون طول الليل بيرن... إتغيرتى يا نهلة...
- وشيرى سابت البيت ليه؟
- اسأله...
- إنت حتسأل محسن حسان؟ دا ضيف... خش اسأل جوزها
- اللكدى.
- هو هنا؟
- قافل الأوده على نفسه وبيتصل زى بيها ومش لاهيها...
- ظل محسن حسان جالساً بمفرده حتى نام... وتساءلت: ماذا يحدث فى هذا المنزل... فأفهمونى أن كل من يأتى من ولاية لولاية يأتى مجهداً بعد انتهاء عمله وجاءى سايق أربع ساعات، فمن شدة الإرهاق يقع فجأة ويسقط نائماً دون علمه... ولا يستطيع الرجوع لمنزله فى نفس اليوم، لذلك لابد أن ينام فى المنزل الذى يقصده كزائر...
- دخلت حجرة مهراڤ وسألته عن سبب زعل شيرى وتركها للمنزل، فقال لى: من يوم ما ركبت النش المصرى وماورهاش إلا القنوات المصرية. وأنا عايز أشوف القنوات الأجنبية، وفيه عندنا ٢ تليفزيون لكن مايفيش ٢ نش عشان كل واحد يشوف للى عايزه، لما هى بتيجى قبلى م الشغل الاقيها هى وأمها بتشوف النش العربى... وأنا باحى بعدها عشان عاوز أشوف الأجنبى، لما مسكت الريموت وغيرت العربى وحوكت ع الأجنبى زعلت، وكمان زعلانة منى عشان لنا ردّ فعلى سريع على أى سؤال، ويتقولبنى مبخّل مناخبرى فى كل

حاجة في البيت، وطالبة منى ما أخشش المطبخ لأنى باحسب لسألهما باستمرار عن كل حاجة... ومُصرّة أن صوتى يوطى ودا مش ممكن... هو دا صوتى كدا ولازم أسأل باستمرار ودى انفعالاتى كمان وأنا لتربيت على كدا... سابت البيت وما أعرفش دلوقتى هى فسين... يصح دا يا أستاذ محبى؟! ولما قللتها: عندنا لما للواحد بوصل سن الـ ٤٥ سنة يهجر فراش الزوجة ويمتتع تماما عن زوجته ويتركها تتفرغ لتربية الأولاد... ناقشتنى... فقلت لها: هذا موضوع خارج أى نقاش ولا أسمح أن بناقشنى فيه لحد... فهل يصح منها أن تترك للبيت ولنا أحادنها؟

لم أرد عليه لأننى اكتشفت أنه لا أمل فيه... فالبيئة والتربية عند شيرى مختلفة تمام الاختلاف عن مهران، وكان يشغلنى فى هذه اللحظة الشخص الذى نايم فى الصالة محسن حسان والذى تركته نهلة ودخلت حجرتها... وتساءلت: هل فعلا كل إنسان هنا حر...

وشيرى هذه ذات العينين الخضراوين والجميلة عندما تغيب عن البيت أحس بغشاوة على عيني، فهى شيطانة هذا البيت وزهرته ونهاره وليله... نمها خفيف ودلوعة وودودة رقيقة لطيفة عاطفية وعقلانية أيضاً... بينما مهران هذا... ليس بينى وبينه لغة مشتركة... فهو شخصية طاردة لمن يقترب منه...

بدأت أعى شكل العلاقات الجديدة هنا، فانا إنسان متقف ومتحضر ولست بمترمت وعلى استعداد ان أغير من مفاهيمى إذا اقتضى التعبير... كذلك ألزمت نفسى بعد ذلك أن أتعاش معهم وبهود ومع هذه المتغيرات والتي لم يكن لى بها سابق علم... وتعلمت أن أقترب

منهم ساعة المرح... أما ساعة التوتر فعلى أن أبعد وعندي من
لوسائل الكثير...

مرّ هذا اليوم الثقيل الذي نامت فيه شيري خارج المنزل في
عربتها ولم تذهب لعملها، وفوجئنا بها وهي ذابلة دالخة المنزل في
بطم في منتصف الليل كرجل عجوز انتهى عمره الافتراضى فجريت
تجاهها أعطيتها كفى كي تتوكأ عليه حتى سريرها... واهتزت الأم
تأثرا...

وفي صباح اليوم جاء الخبر السعيد: ويل ريموند المخرج
لكاليفورنى يتحدث واليوم ٢١ أغسطس...

- مستر محبى؟

- نعم أنا محبى.

- أرسلت لى سلفانا صورك... رائعة... وتم حجز التذكرة لك
بالمكبيوتر، وتم تحديد موعد سفرك لى ٢٨ أغسطس ومعك
إينك فى القيلم أرماندو... يعنى أسبوع من دلوقتى.

- أرجو أن يكون هذا آخر موعد لسفري بالفعل.

- متصلك التذكرة بعد غد فاستعد، وعليك أن تعرف أنك أخطأت
عندما أخذت الطائرة إلى نيويورك وكان يجب أن تأخذ الطائرة
إلى كاليفورنيا عندي هنا.

- خفت ألا أجدك... فقلت على بتأمين نفسى فسافرت مع إحدى
المصريات المقيمات هنا فى أميركا وأقيم عندهم... ومن هنا
أعلمك بمجيئى ثم ننسق بعد ذلك كيفية الحضور لك... ولم أكن
أعلم أن كاليفورنيا بعيدة عن المكان الذى أنا فيه.

- أنت فى ولاية أقصى الجنوب... وأنا هنا فى أقصى الشمال
وبينى وبينك ٦ ساعات بالطائرة وثلاث ساعات فرق توقيت...
ألم تكن تعلم كل هذا قبل حضورك لنيو يورك...
- المهم لأنى أتيت منذ شهرين وأعلمتك بوصولى فلماذا لم تعجل
لى بالسفر إليك؟
- كنت أنتظر التعويض ولا أستطيع أن أعمل وأنا تحت للعلاج...
وقد أخذت التعويض ومرحبا بك الآن... ولا تحمل هما سوف
أعوضك عن كل شيء...
- لقد أنفقت حتى الآن ١٠٠٠٠ دولار.
- ستأخذ كل حقوقك المادية والأدبية وسيكون لك حسابات فى
البنك، فقط ستصلنى بالطائرة فى الثامنة صباحاً ومعك أرماندو
الذى سيسهل لك أى عقبة تعوقك حتى تصل... سلام.

(١٤)

- فى الصباح رفعت لهم خبر سفرى يوم ٢٨ أغسطس... عمُ
الحزن بينهم... حتى فوجئت بننه تقول لى: إذا أردت أن تتزوج فعندى
لمريكية سناتى غدا، وفرصة تأخذ إقامة وتعيش هنا، وهى جميلة وفى
الخمسين واسمها فلورنس...
- ولكنى مازلت أحب زوجتى رغم أننا مبتعدان وهى أيضاً
تحبنى...

- ولكن الجثة هنا... هل نسيت ما كنت تقوله لى: إن الدين لله...
والوطن للجميع؟ والوطن الذى للجميع هو أمريكا... ففيها كل
مهاجرى العالم وهنا يعرفون قيمة الإنسان ويعطونه حقه
كاملاً... فلماذا هذا التناقض؟
- دعيني أفكر...
- محبى... من هى السيدة التى أخذتك بالعربة من هنا وكان معها
طفل؟
- سلفانا الأمريكية التى تعيش فى فرجينيا...
- ومن تكون سلفانا هذه؟
- هى مصورة وتساعد المخرج الأمريكى ويل ريموند، وقد
أرسلها لتلتقط لى بعض الصور لوجهى الآن.
- هانت الحمد لله... أنا قائم لك يا كالفورنيا... اللهم لك الحمد
والشكر... من حقى الآن أن أسهر وأرقص... وفى السماء قصدت أحد
أماكن السهر التى تحوى كل جنسيات العرب واستقبلنى المصريون
والعرب بالترحيب والقبلات وفوجئت بزجاجات الشمبانيا يفتحنها
ويطلقونها على الأرض، فهالنى ما رأيت من فوضى وعبث... وقدموا
لى ملوخية بالأرانب...
- وبينما أنا أكل فى سعادة والمكان مكتظ بالسهرلنين علت
الموسيقى الشقية ونبت السخونة فى المكان وهات يا طرب وهات يا
رقص وهات يا نقوط ترش لأعلى ثم تسقط على الترابيزات وفى
الماكولات وعلى الأرض...

أصبحت بفرح... فهأى الدولارات التى يشقى الأمريكان فى العمل للحصول عليها... هكذا ترمى بيد العرب بزق وقرف لأعلى، ثم تسقط لتمرغ تحت الأقدام... دولارات فئة المائة، وفئة الخمسين، بكميات لا حصر لها، تنتثر فى الأضواء الكاشفة وتسقط على هؤلاء اللاهين بلا وعى من بلاد الشرق...

هذا المنظر المقزز فى كباريهات مصر رأيتـه... وليس فى مطاعها التى أشاهدها الآن فى أمريكا... ولكن الفرق بين هنا وهناك أن للنقطة فى مصر يكسونها بعد انتهاء المطرب أو الراقصة من فقرتها ثم يضعونها داخل الطبل حتى تقسم بالنسب. أما هنا... فالنقطة يتركونها طوال فترة السهرة - قل ٦ ساعات - وأتحدك لو نظر أحد لدولار أو وضعه فى جيبه أو سال لعابه على ورقة فئة ١٠٠ دولار ليسرقها...

٦ ساعات والدولارات يدوسها الساهرون والمطربون والراقصات تحت أقدامهم... وفى خروجهم ودخولهم ورقصهم الجماعى...

وفى لحظة عبث غير ممهّدة وقبل انتهاء البروجرام... يتقم لثان فى أيديهما مقشّات ويبدأون فى كنس آلاف الدولارات لتكوم أمام الآلات الموسيقية... نظرت لى إحدى الأمريكيات فى فرح وقالت لى: من هم هؤلاء الذين يرمون دولاراتهم... فقلت لها إن هذا هو اللهو الخفى الذى تفوح منه رائحة الكسل والاستخفاف والجهل والاستعلاء... إنما يؤكد صورة التخلف البشرى الذى يعلن عن تولده

الكريه والمميّز بهذه الصورة غير المشرفة... بصقت على المكان
وانصرفت حزينا...

لماذا حدث هذا النكد الفجائي في هذا البيت الذي أحببته وفي هذا
الحى الذى عشقته؟

أردت أن أعيد لهم جو البهجة فقلت لهم أين البخور وأين شرائط
الأغاني المصرية فالיום الجمعة... فقامت نهلة وأعدت للمبخرة
وبخرت شيرى، واستأننتهم فى اللحظة التى صاح فيها مهران: أستاذ
محيى، هل تتفضل وتسمح لنا بأن ترافقنا فى زيارة؟ فالיום الجالية
اليونانية تقيم حفلا.

فقلت له: شرط ألا تدخل مع أحد فى حوار... لأنك دائما تخطئ
ثم تتوتر وتتعصب وتسبب حرجاً لمن معك... هذا شرطى...
فقال: خلاص يا أستاذ موافق...

وساقت شيرى عربتها الجميلة وانطلقت لحفل الجالية اليونانية
وأكلت لقمة القاضى وضحكنا ورقصنا وسمعنا أغنياتهم العذبة...
وشاهدنا مختلف الرقصات عندهم والألعاب السيركية والشعبية اللذيذة
وكان الترحيب بنا لا ينقطع... فلقد كنا فى استضافة لسرة يونانية
تعرفها شيرى... وكنت كلما قدمونى لأحد أقول وكاننى على علم
باليونانية... كلا كلا... وعندما يردون للتحية لوأصل قولى...
بفخرستوبولى، فيردون: كلا كلا... ثم أقول: أريد أن أكل من...
هذا... ثم أقول كلمة هذا باليونانية أفتو... فيحضرون لى ما لريده...
لكنهم عندما بدلوا معى الحديث باليونانية أعلمتهم أننى لا أعرف منها

إلا ما قلته من كلمات... وهي كلا كلا وهي أهلا أهلا بالعربية...
وأفتو شكرا بالعربية...

(١٥)

أحب الجلوس فى البرجولا وهى عبارة عن مبنى خشبى ذى
تصميم هندسى شديد الجمال مفتوح من كل الجوانب ويحوى الكراسى
الخشبية والترابيزات وفى كل مجموعة بيوت تجد هذا الجازيبو من
على بعد... يقيمون فيه بعض حفلاتهم أو يلتقون فيه للتأمل
والتحدث... ودائماً أراه مهجوراً فلا يقصده أحد...

فقصده لأمارس فيه تمريناتى السويدية... وهذا هو آخر يوم
لتمريناتى ولا أعرف متى سأعود إليه...

اليوم أودعه فلكم تمنيت أن يكون معى فى القاهرة... ففبه اللعب
الرياضة وأتأمل الحى وسماء الخالق وأسمع أصوات العصافير
المغردة... ورؤية الورود فى الجنابن وأشكال العريبات الضخمة
والفخمة بكل ألوانها وماركاتهما...

مرة ثانية أشكر الملعب الرياضى والبرجولا، فالיום بالنسبة لى
عيد، فقد نقص وزنى فى ٩٠ يوماً ١٥ كيلو... فبئته خارجاً منه
قاصداً المنزل وكان مهراًن قد أتى من عمله ثم أكل ونام فأخذت
مفاتيح عربته وانطلقت للأسواق لشراء بعض الملابس...

وقد قررت أن نمضى هذا اليوم فى الضحك والرقص وللتهريج
وإن لطبخ لهم بيدي...

وفى عودتى وجدت إحدى العربات وقد توقفت مكان عربية
مهران... فنزلت من العربية لكى أعرف من الذى وقف بعربته فى
مكانه... فنزل راكبوها مرحبين بى... فوجدت الأسرة اليونانية وثلقت
عينى بعينى جورجيت وهى تنظر لى فى زعل:

- ماكلمتيش ليه يا أستاذ محيى؟

- أصلى ألغيت السفر لكاليفورنيا.

ثم أخذت يدها اليسرى فى حقيبتها وأخرجت لى تذكرة سفرها
غدا لكاليفورنيا... على نفس الطائرة التى ساطير عليها.

ثم قالت لى: إنت خارج وإلا دخل.

فقلت داخل عشان نتعشى... وبما أنك مسافرة غدا كاليفورنيا
فليكن هذا هو العشاء الأخير، هيا لنحتفل ودخاننا واتجهت مسرعا
للمطبخ... وبدأت أطبخ بينما لورانزو وزوجته ماريانا... الأخت
الصغرى لجورجيت قد جلسا فى الصالة... وكان الكل نائما...
تسللت لجورجيت تشاهدى وأنا أطبخ وأقصر البصل والثوم
وأطبخ الكوسة باللحم وأعد طبق السلاطة وحلة الرز... ثم قالت: هل
تسمح لى أن أكون مساعدة طبّاخ؟... فضحكت...

فهنا كل بيوت أمريكا لا تعرف الحساسية، فالعقل هنا هو كل
شئ... فلا استعلاء ولا استخفاف ولا فشحرة ولا منظره... سواء فى
اللبس أو المعاملة... فالإنسان هنا - بعيدا عن السياسة - طيب وفى
حاله وثقته بنفسه كبيرة وبعيدة كل البعد عن الكذب والغرور... للكل
يخدم حيث لا خدم هنا فى البيوت... والكل يساعد فى البيت... فهامى

جورجيت وقد وضعت الزبالة فى كيس لتخرج ضاحكة وبسرعة لتلقبها فى صندوق الزبالة...

استيقظ النائمون ليجدونى وقد علقت القرع الأصفر على الباب...
فى أكتوبر القادم سيهل عيد الهالوين فتعلق أمريكا كلها القرع الأصفر... وقد رسموا عليه أشكالاً مخيفة... ويخرج الأطفال وهم يرتدون الأقنعة ليخوفوا العفاريت المرسومة على القرع والمعلقة على واجهات البيوت، وعلى السكان أن يتحاشوا الأطفال بأن يقدموا لهم البونبون مما يجعلهم يحسون بالنصر على العفاريت المرسومة... وبما أننى لن أحضر هذا العيد فلقد كنت سباقاً فى أن احتفل به قبل مواعده لأننى لن أكون هنا فى أكتوبر لبست قناعاً مخيفاً، وعلت الموسيقى وبدأت أصرخ فى الضيوف فى تهريج وهم يصرخون خوفاً ويجرون خارج الثنقة وأنا أصدر أصواتاً مفزعة... وكلما حاولوا دخول الثنقة أفزعهم وأصرخ، بينما هم يحاولون شنكلتى أو الإمساك بى... حتى هذئى للضحك والتعب وهم يقدمون لى الشيكولاتة على أنهم خائفون منى، مما يجعل الضحك على أشده.

دخلت لكى أسترد أنفاسى المتلاحقة وأمسخ العرق المتصبب على

وجهى...

فجأة أمطرت السماء، فأخذت الشمسية وفتحتها وظللت أجزى أمام المنزل وخرج أهل الحى الصامت ليشاهدوا هذا المجنون الطائر غداً لكاليفورنيا... وهو يُبلك وجهه بالمطر ويصرخ مغنياً إشتى إشتى وكثرى... عندنا العيش الطرى... وهو يرقص بطريقة كوميدية، مما

جعلهم يضحكون عليه غير مصدقين هذه الحركات البهلوانية التى لا تمت بأى صلة للرقص...

بينما شيرى تترجم لهم وهم يضحكون بشدة، أخذ بعضهم بقية الشماسى من الداخل وقطعوا مثلى، فكان منظراً مثيراً فى الحى، ستة مجالين خلف الشماسى فى الشتاء يغنون ويجرون وراء بعضهم ثم يعودون من نقطة انطلاقهم أمام الشقة يتوقفون للحظات ثم يعاودون الجرى وهم يضحكون ويغنون هذه الأغنية الشتوية... بينما تغيب مهران فقد كان فى داخل المطبخ يحف الرز ويشرب الخضار بالمغرفة.

اشتد المطر فهرعنا داخلين إلى الشقة وقد أغلقنا الشماسى.

ومن شدة التعب تسلطح كل فى كرسيه بينما نمت أنا على الموكيت... ونسينا العشاء تماماً وطلبنا المطعم الصينى والإيطالى أكلين الأكلات الحريفة الـ spicy... لكن ما أسعدنى حقا فى ليلة ما قبل الوداع خروج أهل هذا الحى الأمن والصامت لكى أراهم جميعا وأسمع أصواتهم بعد أن كنت باستمرار أسمع هنا صدى نقسى فقط... انصرفت الأسرة اليونانية... وكنت قد انتهيت من إعداد حقيبة السفر الكبيرة ووضعت فيها كل المشتريات التى اشتريتها... ولم أنس أن أضع مشتريات محل اسمه One Dollar يبيع كل شىء بواحد دولار فقط، وهو عبارة عن مول كبير يا جماله... اشتريت هراشة خشب لتعشر بها جسمك... سندوتش جلد... هامبورجر لعبة للكلب... قبة... قناع دراكولا... الذرة الهندى الملونة الأمريكية... الخ.

الساعة الآن السابعة صباحاً... ثم الثامنة... صارت للتاسعة صباحاً... دق موبائل شيرى... فأعطته لى بسرعة... وهاهو صوت ويل ريموند:

- مستر محبى.

- نعم مستر ويل...

ناسف لأننا... لم نستطع حجز التذكرة هذا الأسبوع... كن على استعداد للطيران عندى قريباً... أحبيك... سلام... التمس لى العذر... وهنا انفجرت نهلة صارخة... دا نصاب... والله للعظيم نصاب... لى زى تصدق واحد زى دا... بيديك وعود من شهرين وبيكنب عليك فى كل مرة، وبقالك ٣ شهور ومش سائل فيك. ثم لى السفر لكاليفورنيا للتذكرة تتحجز فى يوم لو هو عايز... أطلبه وقل له الكلام دا... المخرج دا اذاك ولازم يفهم دا...

تلاقيه فاكر أنك مليونير، عشان بقالك هنا فى أمريكا ٣ شهور... لأنه عارف أن كل يوم بيمر يعنى دولارات بتتدفع... لازم يفهم أنك فى أمريكا مش فى مصر... مايفش حد يقدر يقعد فى أمريكا مدة طويلة إلا إذا كان غنى... أو بيشتغل كل يوم... فهمه أن فلوسك خلصت... وفهمه أنك حتسافر لأن مامعكش فلوس... لازم يفهم موقفك صح... وأنت كمان تفهم موقفه... لازم مواجهة صريحة بينك وبينه، هنا فى أمريكا المشاعر جافة... ولكى تتحرك المشاعر لابد من

مواجهة عنيفة... ولقد عهدت فيك دائماً الصراحة فافتحمة... لا بد وأن
تفتحه...

أدخلت شيرى الشنطة فى الكلوذت... وكم كانت سعيدة بعدم
سفرى... ثم عانت وهى تحمل فى يدها كوبا من التفاح... شربته
واستأننتهم خارجا كى أتمشى لكى أضع النقط على الحروف... ولتكن
وقفه أخيرة مع لذات...

فكرت فى البداية أن أسافر لواشنطن حيث مقر سفيرنا نبيل فهمى
هناك... ثم ترددت وماذا سيفعل لى السفير... وأنا ليس معى أى اتفاق
مكتوب...

(١٧)

ما أسألش... ما أسكتش... ما أقدرش... ما أعرفش... ما
قولش... كلمات تعايشت فى داخلى... احترت كثيراً بين هذه
الكلمات... فأحيانا أقول لنفسى... هل أسأل ويل ريموند عن بعض ما
يتردد فى نفسى من تساؤلات... ثم أعود لأقول لنفسى: لا... ما
أسألش... عيب...

وأحيانا تقور نفسى... حيث أقول لها ماتسكتشى وقوله... وأحيانا
يدفعنى الخجل وللحياء لعمل حوار بينى وبينه... فالرجل مغرب الآن
وله تقاليد وتربيته... وأنا من الشرق لى تقاليدى وتربيتى... لذلك ما
أقدرش أسيل الحوار...

وأحياناً أتساءل: هل أنا مدرك تماماً لما حدث لى من إيذاء؟...
نعم مدرك تماماً... ولكن لماذا دائماً ألتمس له العذر وأقول ما أعرفشى
يمكن ظروفه أقوى منه... وما قلنتش حاجة عنه تسمى إليه...
وعادت لى هو اجسى من جديد منصبةً فى هذه الكلمات: ما
اسألش، ما اسكتش، ما أقدرش، ما أعرفش، ما قولتى...
حاولت أن أأخذ العواصف التى تطيح بى والتى بدأت تطفح على
وجهى... حاولت أن أتصالح مع نفسى لكى أعدد مكاسبى من هذه
الرحلة مستثياً هذا الفيلم... فقلت لنفسى إن ما يعزىنى فى هذه
المغامرة التى أصبحت الآن غير محسوبة... لأننى أصبحت رشيقياً
وفقدت من وزنى خمسة عشر كيلو... وأصبحت أتحرك بسهولة
وأرتدى كل ملابسى التى كانت ملغية منذ سنين... وما يعزىنى أكثر
هو وجودى وسط هذه الصحبة الإنسانية من البشر... ورويتى لأمريكا
والفسح والتجربة التى عشتها... وسألت نفسى: ماذا كان سيحدث لو
سافرت له كما قال لى لكاليفورنيا... ولم أتمكن من مقابلته أو الوصول
لمنزله... أو أغلقَ الموبايل؟...

من المخطئ إذاً: أنا أم هو؟

أقر واعترف أن المخطئ هو... أما أنا فمفغل... لأننى وقعت فيه
واحترمت كلمته لى عندما اتصل بى فى للقاهرة أكثر من عشر مرات
فى شهور مارس وإبريل ومايو ليخبرنى أن أنهى أعمالى فى القاهرة
بسرعة لأحضر له فى يوليو... مؤكداً لى أن كلمته بالنسبة لى... هى
بمثابة عقد عمل...

لكنى أقر وأعترف أيضاً... بأننى مغفل لأننى لم أوقع عقداً رسمياً فى القاهرة وقبل سفرى...

ولكنى عدت أقول: إن ويل ريموند الذى التقيت به من قبل هنا فى القاهرة... وأخرج لى أعمالاً ناجحة كان صاحب كلمة طوال عمره وصادقاً... فلماذا لا أصدقه الآن...

كان على أن أصدقه... فالرجل هو الذى اتصل بى... وهو الذى بصر على حضورى... تشهد بذلك مكالماته لى فى القاهرة والنسى بدأت منذ عام ١٩٩٥ وحلمه بإخراج فيلم مصرى يصور كله بالكامل فى أمريكا ويسند لى بطولته... فكان على أن أسعى أنا أيضاً... لتحقيق هذا الحلم وأسافر له...

فالفيلم سينتج فى أمريكا... وهو كمخرج الآن أميركى الجنسية... وأنا البطل ٢ مليون جنيه... وهذه ضريبة بالنسبة لى... فلماذا لا أصدقه... ولماذا لا أتمس إذا له العذر... وخطاباته لى المكتوبة بخط يده تشهد على صدقه منذ عام ١٩٩٨... وإذا لم يكن جاداً فلماذا يتصل؟

لقد قال لى أخيراً هنا وأنا فى أمريكا... وعبر حديث تليفونى منذ أيام ليست ببعيدة:

مستر محبى سنبدا للتصوير فى سبتمبر... للصحافة هنا تنتظر حضورك... فريق للعمل جاهز وستعمل مع ممثلات وممثلين عالميين... ستأخذ حقاك كاملاً فى الدعاية والنقود... وسنفتح لك حساباً فى البنك... وتمتطيع أن تتزوج من أمريكية هنا... وتأخذ الجنسية الأمريكية... وسندفع لك ضرائبك على أموالك التى ستقبضها هنا...

وساعطيك إيصالات تثبت أنك تكسبت هذا المبلغ من عمل مثلت فيه
معى... وتمستطيع أن ترسل من هنا لأهلك ٥٠٠ دولار يومياً
بالوستيرن يونيون للبنك اليومى السريع... لتصل النقود لهم ثانى
يوم... فلا مشاكل هنا على الإطلاق، لقد أوجدت أمريكا حلاً مريعاً
لكل شىء... كنت أتمنى أن ألقاك بسرعة... ولكن ظروف القضية
تمنعنى من الحضور عندك...

ثم يعود قائلاً ولكنى سأفكر فى الحضور لك ومعى الفيلم...
ونمكث فى لحد الفنادق لمدة أسبوع لمراجعته... ثم تسافر، وأنا أرى
أن هذا أفضل...

إذا سأحضر فى الأسبوع القادم... انتظر تليفونى...
هذا ما قاله للرجل، وأنا لا أنسى ما قاله... فلماذا كل هذه
التناقضات والتي لم يتحقق منها شىء حتى الآن؟

(١٨)

من يضمّد لى جراحى... ياربى وقد بدأ الخريف وتمسقطت
لأوراق الشجر بكل ألوانها المستردة... والزرقاء والحمراء... والبني
والفوشيا... والرياح تعوى هنا لا تعرف الرحمة... والبط البرى قد
طار مهاجراً، وطيور فى السماء تصرخ... وهنا تكثرت أغنية كنت
أغنى بها فى شبابى (سمبو راح البحر... قلع هدومه ونط... عام على
جنبه... جه ليو جلمبو قرصه فى جنبه... يا عينى ياسمبو)...

انطلق فى الشوارع ليلاً أسير بمفردى فى هذا الخلاء... فى هذه
للشوارع الصامته التى لا يوجد فيها حتى كلب يؤمنى فى وحشة
للطريق...

أهلكنى التفكير فعدت للمنزل ودخلت حجرى وبلعت حياية منوم
لكى يهدأ عطفى... وفى المساء صحوت وخرجت دون إنهم وكأنى
أصبحت أعيش فى هذا المنزل بمفردى... وقد لاحظوا شروداً ينط من
عينى... فتركونى لحال سببلى وهم يرون لى ولا يعرفون ماذا
يصنعون من لى...

وبينما أنا قد وصلت لباب الخروج لوقتتى شيرى قائلة: خالى
بالك من سنيزر Sniper واشنطن، القناص قتل ١٥ إمبراح، وحتى
بص وأنت واقف ع الباب بص على شاشة التليفزيون واسمع، فاقتربت
من الشاشة وصدق الخبر - الإسنيزر يقتل الناس فى ولاية فرجينيا...
إنه يتحرك بعربة كبيرة متجها فى الظلام لبينسلفانيا... ولا نعرف من
تكون ضحيته القادمة...

(١٩)

انطلقت فى الظلام ككلب مسعور وتمنيت أن أرى هذا القناص
فهو لا يقل ضراوة عن ويل ريموند... فويل ريموند جعلنى أموت كل
يوم موتاً بطيئاً أمام هذا القناص فإن رصاصه واحدة منه تريح المقتول
فى التو واللحظة... ويموت العقل ونكد الذاكرة التى تلاحنى فى نومى
وأحلامى ويقظتنى...

أسرع الخطى فى كل الشوارع المظلمة فى بنسلفانيا الساعة
الحادية عشرة مساءً، وحذرونى هنا من الشرطة أن تداهمنى وأنا
الوحيد اليقظ فى الشوارع فى وقتى... فأمنت نفسى بالباسبور
والدولارات وبعنوان الحى الذى أنا فيه ورقم تليفون المنزل
والموبيلات ونسيت تماماً أنهم قد يتجاهلون كل هذا عندما أخبرهم
بجنسيتى واتكلت على الله ولاحت لى من على بعد عربة بوليس توقفت
مقربة منى... فلم ينزل منها لحد... وتركونى لحال سبيلى وهنا
لكتشفت أن أخوف شيء يخيف الإنسان هو أن يكون خائفاً... وقلت
لنفسى: مادمت أحترم دستور وقوانين أمريكا فأنا فى أمان، والدليل
أنهم لا يخيفونك وأنت تسير بمفردك... فهذه هى حريتى مادمت لا
أؤذى أحداً بسيرى هذا فى الظلام فأنا لا أصرخ ولا أعوى ولا ألقف
أحداً بالطوب ولا أخبط على منازلهم... فإله يرعانى... وهو الذى يعلم
بحالى...

فى هذا الخلاه للموحش والصمت القاتل... تتجسد قضيتى أمام
عيني الآن وتحاصرني...

فكان على أن أجرى حتى أتخلص من ضغط الدم العالى الذى
بدأت أحسه مقرباً من جبهتى... الشيء الذى لم يحدث لى من قبل...
أسرعت الخطى لكثير فأكثر ولنا أجرى من شارع لشارع، بدأ المطر
يحاصرني، ولم يكن معى الأمبريلا الشمسية... فقلت لنفسي جرب
مطر أمريكا ورياحها القارصة وتذكر ملايين البشر الذى قتلوا فى
حروب وحشية لا أتمية... وأشكر الله أنك مازلت حياً...

كان لزاما على أن أتسلح بكل أسلحته وأن أحاربه بنفس
سلاحه... وأن أحقق للكابوس الذى حلمت به من قبل، إذا على بشراء
مسدس للدفاع عن نفسى... أنا لست بقاتل... ولكن أظلم الناس من ظلم
نفسه...

(٢٠)

وقررت بالفعل أن أسافر له لاسترداد جميع حقوقى... فى حالتى
هذه لا يحمى حقوقى المسلوبة سوى القوة...
ولن آية المنافق ثلاث...

إذا حدث كذب... وهو كذب

وإذا وعد أخلف... وهو أخلف

وإذا أوتى من خان... وهو خان

ولكن كيف سأركب الطائرة وأنا أحمل سلاحاً وهناك إرشادات
على التذكرة تقول ممنوع اصطحاب الألعاب النارية يعنى مسدس
الصوت...

إذا على أن أتوقف عن شراء سلاح... ثم قلت لنفسى وأنا أرسوم
له للخطة... لن أتحدث معه فى منزله بل فى مكان خال... وسأخبره
لن الأماكن المغلقة تصيبنى بضيق فى التنفس...

إذا على أن أكذب لاسترداد جميع حقوقى...

إن الكذب ليس من طبعى... ولكن الظروف التى هى أقوى منى
تلزمنى أن أحتصم به... لأن الصدق لم يأت لى بنتيجة...

والآن ليس معى عنوانه... إذا على أن أستدرجه حتى يعطينى عنوان منزله وسوف أخبره أنني عائد غداً للقاهرة...

أخذت موبايل شيرى، وضغطت لأصابعى الأرقام، فأتى صوته:

- مسيو ويل ريموند... اسمح لى... محبى مع حضرتك... باريت التذكرة تلغيا... لآنى لازم أرجع مصر لظروف عائلية.

- OK مستر محبى... وبكدا ببقى عندنا وقت أحسن.

ثم طلب منى أن أحادثه على الموبايل الذى معى رقمه فشكرته، وقد أعطيته رقم الموبايل الخاص بى فى القاهرة فكتبه... وأعطانى عنوان منزله فى كاليفورنيا، الشىء الذى لم يصرح به من قبل، نلك لأنه تأكد الآن من عودتى للقاهرة...

ثم سألته السؤال الأخير: اسمح لى... ما مواعيدك اللى تكون فيها موجود فى البيت؟

فرحب الرجل معطياً لى مواعيد تواجهه فى المنزل... وكانت هذه آخر مكالمة بينى وبينه... بعدها أخذت حياية منومة... ونمت يوماً كاملاً دون أن أحس بوجودى...

(٢١)

مر يوم آخر قضيته فى تأمل خطتى ووصول التذكرة، وفى الواحدة مساءً دخلت مطار نيويورك لكى أستقل الطائرة المتجهة لولاية كاليفورنيا المقيم فيها هذا الويل ريموند... وقد تلفحت بـجـاكيت

صوف سميك وجوانتى فى اليد وطاقيه سوداء على راسى وحذاء ملىء
بالفرو وفى يدى الأمبيرىلا وفى اليد الأخرى شنطة السفر...

كانت تجلس بجانبى فتاة مشرقة الجمال فى الكرسى الداخلى
وكانها الشمس لحظة بزوغها، وبدأ للتكيف بدب فى الأطراف المتلجئة
ومن لذة الدفء وإرهاق الفكر نمت ساعتين حتى أيقظتسى المضيفة
بفنجان شاي فعانت لى قواى للمسلوبة... وشردت منى نظرة نون
علمى لشيطانة الجمال والأنوثة المتفجرة التى تمسكن بجانبى فوجدتها
متجهمة وهى تسدد لى جملة بالإنجليزية وكانها تطلق نارى...

من فضلك عاوزة أروح للتواليت... وكل ما أحاول أصحيك
ترمى دماغك ع الكرسى وتنام ودى تالت مرة أصحيك عشان
أخرج... فلو سمحت فيه كرسى للنوم فى آخر للطيارة...

تأسفت لها وخرجت من هذا الحبس... وهى تجرى وتترنح
فالحاجة على وشك الخروج...

قضت حاجتها ثم عانت، فوقفت لها مبتسماً ودخلت فى كرسىها
وبدأت تقرأ مجلة عالم المرأة... وأنا أشاهد شاشة التليفزيون التى
امامى حتى جاء خبر قناص واشنطن المروع...

فقلت لها فجأة دون أن يكون بيننا أى كلمة مشتركة من قبل:

- سننبر وشنطنن دا راجل ولا ست...

فنظرت لى مبتسمة وهى تقول فى لا مبالاة:

- رايك إنت إيه...؟

- أعتقد أنه راجل...

فقالته وهى تقرأ: يبقى راجل...

- ثم أضفت: ولية اختار واشنطن؟
- ولية يختار نيويورك؟... هو عاوز كدا...
- حاولت أن أغير للموضوع فقلت:
- نيويورك جميلة
- فقالت: هل أنت أميركي؟
- لا
- فرنسي؟
- لا
- إسباني؟
- لا، ثم قلت أنا مصري...
- الأهرامات جميلة...
- جميلة
- ثم قلت لها فجأة: أنا مسافر كاليفورنيا علشان أمتل فيلم مع
المخرج العالمي ويل ريموند...
- فقالت لي: من يكون ويل ريموند؟
- مخرج أمريكي يعيش في كاليفورنيا بالقرب من سان
فرانسيسكو.
- أسفة فأنا أدرس الطب...
- دكتورة
- بعد عام أصبح دكتورة ولكني الآن أشتغل وأدرس لأن
مصاريف الجامعة هنا باهظة...
- أنا أعيش في بنسلفانيا...

- وأنا كنت فى زيارة لنيويورك فولدى متزوج هنالك... وكذلك
والنتى وكنت فى زيارة لهما.
- لم أزر كاليفورنيا من قبل.
- هنا الفن كله وعليك بزيارة ستوديوها...
- لكيد...

لحسنت بالنوم وقد بدأ يداعب جفونى فاستأذنتنى أن نستبدل
الكرسى... فوافقتها وفى كرسبها الذى أنا فيه الآن أخذنى للنوم بعيداً
بعيداً.

مذعوراً صحوت من النوم وقد تلاحقت أنفاسى حتى هدأت تماماً
فاستأذنتها خارجاً من الكرسى الجانبى... دخلت الحمام طسمنتُ وجهى
بالماء حتى عادت له اليقظة ونظرت له فى المرأة فوجنته مسكراناً...
لماذا أحس بأن وجهى قد لفته التجاعيد من كل جانب... لكنى قلت
لنفسى: هذه هى هلاوس فى داخلى، ذلك لأننى مجهد فى التفكير طوال
الثلاثة أشهر هذه...

عدت للكرسى وأنا أتجمل بابتسامة ترفض أن تثبت ولو
للحظات...

- أسف أصلى مانمتش بقالى ٣ شهور.
- ٣ شهور؟
- ٣ شهور.
- أنت بقى الراجل واللا السنبير واللا الرجل العنكبوت واللا
السوبر مان؟
- أنا السوبر بندقان.

- يعنى إيه؟
- ثم نظرت لعينيهَا المفرفشتين وقلت لها: حضرتك إسمك إيه؟
- روزيتا
- وأنا اسمى محبى... ممكن لو سمحتى أسألك سؤال؟
- نعم
- تعرفى شكسبير... وليم شكسبير؟
- دا الكاتب الإنجليزي المشهور.
- هل قرأتى مسرحياته؟
- شفت له فى برودواى هاملت وماكبث وعطيل
- حضرتك متقفة...
- أشكرك
- قرأت هاملت كويس
- هاملت أمير داتماركى...
- فاكرة الممثل اللى متلئ الروسى.
- أنا شفت هاملت الأمريكى على المسرح.
- طيب فاكرة هاملت الإنجليزي.
- مين هو؟
- لورانس أوليفيه
- لا
- تحبى أملاك مونولوج من هاملت.
- ابتسمت فى رقة ثم قالت فى دهشة، حقيقى ممثل...؟
- وهذا هو اليباسبور.

أخرجت لها الباسور وقرأت مهنتى المكتوبة فى الباسور باللغة
الفرنسية Acteur يعنى ممثل... فزلت دهشتها وهى سعيدة...
فاستأذنتها خارجاً من الكرسى فأصببت بدهشة أكثر لقلقى هذا...
امتدت يدى وفتحت حقيبة الشنطة وأخرجت حقيبتى الهاندباك
وأخرجت لها صورتى بالألوان وعليها توقيعى... واستمحتها فى أن
أهديها لها فوافقت.

عدت للكرسى وبدأت أستغرق فى استحضار مونولوج هاملت
الشهير "أكون أو لا أكون" وهى تنظر لى مذعورة وتسال:
- مالك...

- بنى أحاول أن أستدعى هاملت لأنقص الشخصية...
وبينما هى تنظر لى فى استغراب وأنا أدخل فى إهاب الشخصية
بدأت فى تمثيل المونولوج الشهير به فى المسرحية:

To be or not to be,
That's the question

أكون، أو لا أكون
تلك هى المشكلة
أى الحاليتين أمثل بالنفس
أتحمل الرجم بالمقاييع وتلقى سهام الحظ الأتكد
أم النهوض لمكافحة المصائب حتى ولو كانت بحراً عجاجاً.
وما إن انتهيت من التمثيل حتى وجدتها تنظر لى فى استغراق...
ثم بدقة وبرقة، وبهدوء اقترب رأسها منى بملاسة وطبعت قبلة على
خدى...

ثم قالت:

- كم يوماً ستمكث في كاليفورنيا
- سبعة أيام...
- هل تصوير الفيلم يستغرق سبعة أيام فقط؟
- فتداركت الموقف مصححاً... أنا جاي لوقع العقد هنا...
- وأعرف موعد التصوير وأنقش شويه ثم أعود لبنسلفانيا ومنها للقاهرة...
- هزت رأسها معلقة: هل أنت ممثل كوميدى لم تراجيدى؟
- تراجيكوميك ولكنى أميل لتمثيل الأوار المركبة الصعبة مثل وارن بيتى ودى نيرو وهوفمان وباتشينو ومونتى...
- من مونتى؟
- مونتجرى كليفت الذى مثل تشايكووسكى وفرويد
- هل أنت أمريكى؟
- لم أحمل الجنسية بعد.
- وأنت؟
- أمريكية... هل تعرف كيف تصل للمكان الذى ستقيم فيه؟
- أقرب برجولا أصانفها سأنزل فيها...
- فضحكت بشدة ثم قالت:
- أنا لا أحب الاندماج فى الآخرين.
- فقلت لها متأسفاً: أنا لم أطلب منك شيئاً ومعنى Credit Card وعندى دولارات فى البنك وهذا هو عنوان إقامتى فى بنسلفانيا

وأخرجت لها كارتا بذلك... وهذا هو عنوان إقامتي في بلدي...
وأخرجت لها كارتا بذلك.

ثم قلت:

- في أي عمل أنت تعملين؟

- في الممساء أعمل في مطعم يقدم الأكل والموسيقى والرقص،
وأتذكر بالبنهار. واليوم لنا في إجازة... فإذا أحببت أن تتناول
معى الفطور فمرحباً...

- فسألته هل أنت متزوجة؟

- لا

خرجنا من المطار وأخذنا شنطنا ووضعناها في تاكسي أجرة
قاصدين منزلها... وما إن وضعت حقيبتي ودخلت منزلها لتجهت هي
للمطبخ لتعد الفطور... وقد غلبني النوم، فأحضرت بطانية وغطتني
بها ودخلت هي حجرتها الأخرى ونامت...

؛ ساعات نسيت فيها نفسي تماماً والزمان والمكان ولا أعرف
عندما استيقظت أين أنا وما الذي أتى بي إلى هنا حتى استجمعت قواي
وأدركت أنني هنا في صالة منزل روزيتا الفتاة الأمريكية ذات الثلاثين
عاماً هو عمرها والتي تتفجر أنوثة من كل جوانبها، يديها، عينيها،
شعرها، خنودها، أردافها، رجليها، فخذها، شفتيها، صوتها، كل شيء
فيها شيطاني، وكان عليّ أن أقوم إنني، لا مفر. إذا كان ولا بد وغلبنا
الشيطان أن أتزوجها... ولكن السؤال هل ستوافق؟ فوجدت نفسي أسأل
نفسى... ومين قالك إني أنا حتجوز؟

استيقظت روزيتا وخرجت من حجرة نومها ترتدى تى شيرت
وشورت وهى نمر من أمامى ملوحة ببديها:

- هالو محبى

- فقلت هالو روزيتا

- فقلت Happy nice night ليلة سعيدة...

- ليلة سعيدة طبعاً...

ثم خرجت من المطبخ فى لهفة محاولة تقبيلى ولكنى تراجعنت
برأسى للوراء...

فنظرت لى فى استغراب وهى تقول لى:

- Body call!! نداء الجسد... جسدى يطلبك...

- لماذا...

- أسأله هو الذى يطلب...

وعندما تجهمت ضجكت وتركتنى وقصدت ثانية المطبخ... وقد
أعدت لى لحم الخنزير مع زجاجة نبيذ وسلطة خضراء ومكرونه
لازانيا وكاتشب...

وظللت منى أن أشاركها الغذاء...

- أنا لا أكل الخنزير؟

- إذن ماذا تحب أن تأكل؟ الثلاثة بها كل شىء... اتجه إليها
واختر ما تريد

- فقلت أكل خس وجبنة وطماطم وتونة وأطلى بالفتاحة دى
واشرب كوباية شاي وشكراً...

- OK تستطيع أن تعد غذاءك بنفسك.

أعددت بالفعل غذائي بنفسى ووضعته على صينية استقرت على
السفرة ویدانا ناكل... كل یاكل - بطريقته وباختياره - ما اختار.
كنت أكل وأنا أجلس فى قبالتها... فقالت: لى لماذا لا تجلس
بجانبى؟

- أنا مستريح هكذا.
- إذن اسمح لى أن أجلس أنا بجانبك.
- كما يحلو لك فهذه كراسيكى وهذا منزلك... وأنا ضيفك...
- جلست بجانبى ولكن صهداً نافذاً ساخناً بدأ يتسلل إلى قنلت لها:
- لماذا لا تتزوجين وأنت الفتنة بعينها؟
- تزوجت كثيراً وفضلت... هل أنت متزوج؟
- لا
- لماذا؟
- حاولت مرتين ولكنى لم أوفق.
- أخذت حقيبتى وقد فتحت الباب بسرعة فوجدتها تلاحقنى سائلة:
- هل ضايقتك... لماذا تجرى خائفاً منى؟
- لست بخائف منك ولكنى أخاف الله...
- قل لى أين الله؟...
- فىكى وفى... فالذى أنعم عليك بهذا الجسد هو الله...
- فاشكره...
- وكيف أشكره؟
- لا تخطئى ولا تعطى جسلك لى أحد... أعطيه لرجل واحد
تهببته حياتك ويهبك حياته...

- فشلت...
- ابحنى عن آخر...
- سأحاول ولكن أين هو؟
- ابحنى عنه
- هل توافق أن تتزوجنى؟
- دعيلى أفكر...
- أريد أن أتزوج لحم إنسان شرقى...
- أستسمحك فى الخروج فلقد حان موعد رحيلى...
- ومتى ستعود؟
- عندما أنتهى من مشاويرى...
- هل معك موبايل لتكتب تليفون المطعم والمنزل.
- لا...

أُخْرِجَتْ كارتاً يحوى عنوانها وتليفوناتها فأخذته شاكرًا...
ثم فجأة وبدون تمهيد ارتمت فى صدرى ثم لفت ذراعها حول
ظهري وجذبتنى لها جذباً فوجدت نفسى فى أحضانها فنامت على كتفى
بينما أنا منتصب القامة مرفوع الرأس... أسندت رأسها علىّ وهى
تتمتم لماذا لا تؤدعنى... وخفت أن تشك فى رجولتى فاحتضنتها بشدة.
وغاصت فى دخلي لنفائى دون أن تتسلخ منى... وأنا أمثل عليها
صدق مشاعرى الكاذبة فى هذه اللحظة... فبدأت تفك ذراعها بالتركيز
من حول ظهري وهى تتراجع للخلف وتظر لوجهى بدهشة...
قبلت رأسها وانحنيت على حقيبتى قاصداً باب الخروج... وهى
تسأل:

- هل تعرف المكان الذي نتجه له الآن؟ هل معك خريطة
لكاليفورنيا؟
- لى كل شىء... فقط أريد الخروج...
- أخذت مفتاح عربتها الفورد وهى تنظر فى عيني نظرات هى
التي تعلمها ثم قالت:
- سوف أوصلك بعربتي للمكان الذى تريده...
- أنا... أعرف المكان جيداً... لشكرك...
- لى ساعات فراغ كثيرة... وأنا فى إجازة،
ولما وجدتها ملحة قلت لها:
- موافق...
- ثم عدت ثانية لى أوافق واشترطت عليها:
- عندما أشير عليكى بالتوقف... عليكى أن تتوقفى حيث ستأتى
عربة تأخذنى حيث المكان الذى أقصده... اتفقنا...
- اتفقنا...
- ثم حاولت أن نداعبنى ككثورة أسنان على وشك التخرج...
- لو سمحت افتح بلك... أرنى أسنانك... أوه... أسنانك تحتاج
لرعاية... ففهمت ما تقصد...
- خرجت وأنا لخص بأننى الآن حر... فإنى أعرف قيد المرأة جيداً
وكيف تسجن للرجل بشنى للطرق الواضحة والملتوية ولبضاً
للمريحة...
- تقدمتى روزيتا وهى تفتح لى شنطة عربتها حيث وضعت
حقيبتى وانطلقت بنا عربتها قاصدة سان فرانسيسكو حيث علت

الموسيقى بصوت توم جونز... وهو يغنى أغنية Woman... عن
المرأة... فقلت لها: ولماذا هذه الأغنية... فضحكت نون رد وهي ترد
كلمات الأغنية بصوتها...

ثم قالت:

- لماذا تخاف... ما كل هذا الخوف الذى يعتربك؟ إن الحياة لا
تعترف بالذين يخافون...

- أنا لا أخاف... لكن... هناك فرق كبير بينى وبينك... أنا من
الشرق وأنت من الغرب... أنا فنان وأنت دكتورة... أنا مصرى
وأنت أمريكية... أنت تسكنين فى الغرب وأنا أسكن فى
الشرق...

- نتزوج.

- ولكن موضوع الزواج هذا ليس فى ذهنى...

- إذن لا نتزوج... نعيش أصدقاء...

- لم أفكر بَعْدُ أن أعيش هنا...

- لا تكن متزماً... كن معاصراً... وحاول أن تفكر بمرونة...

الحياة بسيطة وسهلة فلماذا نعقدها... أنا سأساعدك... أنت
مازلت خجولا ودمك خفيف. يقولون إنكم تطلقون النكات طوال
اليوم وأنا أحب الضحك... ولا أحبك مقطب الجبين هكذا
فأسمعننى بعض النكت كى نضحك، لأن نحن أصدقاء، بعض
النكت لو سمحت...

أسمعتنى ذاكرتى فتكرت بعض النكت التى لطلقتم بسرعة نكتة
ورا نكتة... (فلاح جه يفتح مافلحش، طالب جه ينجح مانجحش، واحد

غسل هذومه ونشرها فى جرنال، واحد وطى للتليفون وعذى من فوقه،
واحد على التليفون وعذى من تحته)... كانت تضحك وأنا أترجم لها
ما بين السطور...

ثم توقفت العربية واستأذنتها فى حقيبتى... ففتحت لى شنطة
عربتها وأخذت الحقيبة وبينما هى تغلق شنطة العربية غافلتلى وقد
تشعلت فى رقبتي تقبلنى وكان كل صراعى أن أفك يديها المعقودتين
حول عنقى... ونجحت فى ذلك... ولممت نفسى بسرعة وأنا أحمل
حقيبتى مشيراً لأحد تاكسيات الأجرة... وركبت التاكسى واضعاً
الحقيبة فى شنطته وهى تعدنى أن أتصل بها قائلة لى:

- هناك مفاجأة سعيدة ستنتظرك...

ودعتها وانصرفت لأماساتى...

(٢٢)

انطلق التاكسى بى قاصداً سان فرانسيسكو بينما هى انطلقت
وراء التاكسى تتبعنى... وبدلت أشك فى هذه اللغاة... فطلبت من
السائق أن يخدم هذه العربية الفورد التى ورائى ويدخل فى أى طريق
جانبى...

فضحك السائق وقال لى: اترك لى هذه المهمة... وبالفعل خدعها
فتركها تتطلق بسرعة حتى كانت وراءها سلسلة عربات مسرعة خلفها
غطت على عربتها تماماً فى نفس اللحظة لذى لوكف هو عربته

متسللا بها من شارع جانبي دون أن تحس هي بذلك ونجحت المهمة،
ثم سألته عن اقرب موتيل هنا.

فقال وهو يبتسم: في هذا الشارع موتيل بمـ ١٠٠ دولار في
اليوم، فقلت له: هذا ما أريده... عليك به...

حجزت حجرة لمدة سبعة أيام في الموتيل ووضعت حقبتي في
الكلوزت وأنا مجهد واستغرقني النوم فتمت ولم أصح إلا في صبيحة
اليوم التالي في العاشرة صباحاً.

وفي كافيتريا الموتيل سألت الجرسون الذي قدم لي الشاي عن
بانفقت الأماكن السياحية هنا فقال لي سوف أحضره لك... أحضره...
تصفحته جيداً ثم خرجت للشارع قاصداً للتليفون، وطلبت ويل ريموند
وقد غيرت من نبرات صوتي حتى لا يعرف صوتي... وما إن سمعت
صوته جيداً حتى وضعت السماعة بسرعة.

وبينما الهواء يعوي، والشمس قد غاب نفضها والمطر ينزل فردت
الشمسية وأنا أجرى فالهواء الخارج وكأنه من الفريزر يُطيح بالمطر
ليستقر على نظارتي لتضيب الرؤية. ولا أستطيع مسح زجاجاتها،
خلعتها، وأنا أسرع الخطى... مشيراً لتاكسي نخلت فيه... أحسست
بدفء للتكييف، أخرجت عنوان ويل ريموند لأسأل للسائق عنه فقال
لي: بعد نصف ساعة من هنا تجد هذا العنوان.

فقلت له: OK عليك بالعنوان... وانطلق التاكسي.

هل تعرف الرجل الذي يتصدر إعلانات ميشلان للكاوتش، هل
تعرفه، مثل إعلانات ميشلان عن الكاوتش، كان شكلي، فقد كنت
أرئدي أكثر من بلوفر وعليهم جاكيت منتفخة كبيرة وقد غطيت

وجهى بطاقيّة سوداء لا يظهر منها سوى عيني وارتيديت الجوانتيّات
فى يدي والحذاء المبطن بالشعر ذو الرقيّة الطويلة وأخفيت كل معالمى
ولا يستطيع أحد أن يتعرف علىّ بسهولة...

توقف سائق التاكسى وهو يشير بإصبعه... هذا هو المكان وهذا
هو الرقم، وهذا هو البيت، تأكدت جيداً مرة أخرى من العنوان بعد أن
طابقت على المكان الذى لنا فيه الآن... فتيقنت أنه هو بيته... تحصنت
ببرجولا بعيداً عن منزله... وجلست أنتظر خروجه... مرت ساعة ثم
ساعة ثم ساعة... ثلاث ساعات ثم من على بعد وجدت فتاة تخرج من
باب مسكنه ووراءها ظهر هذا المرأوخ الذى اغتصب تفكيرى
وأهلكنى شكاً فيه...

إنه هو ويل ريموند... فعندما تنتظر مثلى من هذه النظارة
المعظمة التى على عيني ستجده على بعد مترين فقط وقد تجسّد
أمامك... إنه هو وقد أصبح فى الخامسة والستين من عمره ينزل
سلام مسكنه وكله ثقة وكبرياء... وهاهو قد انتهى من نزول
السلام... وهذه الفتاة الناصعة للبياض ذات الوجه الأحمر والتي تبلغ
من العمر الأربعين عاماً تتقدمه، لتفتح له باب عربته اللنكولن.

خرجت من الكلوزت كالمسعود مسرعاً لأوقف تاكسياً وانطلقت
خلفه وأنا لشير لسائق التاكسى أن يتبع هذه العربة اللنكولن، واستطاع
هذا السائق الماهر أن يلحق به، وبعد عشرين دقيقة توقفت عربته،
ونزلت منها هذه الفتاة الجميلة وفتحت له باب النزول فخرج فى ثقة
وكبرياء متجهاً لإحدى المطاعم... طلبت من السائق أن ينتظرنى
وأعطيته بعض الدولارات مقدماً، وكم كان مندهشاً من تصرفى هذا...

دخلت المطعم أتتبعه فأنا الآن الرجل الكاوتشوك، فسلكى الآن كروى للغاية، ومن على بُعد جلس ليناول غداه ومعها الفاتنة، فجلست أيضا أتناول غدائى ولكن من على بُعد، وأنا أراقبه وما إن انتهى من الأكل وهمّ بالوقوف، حتى كنت أنا قد سبقته ودفعت حسابى وخرجت أنتظره فى التاكسى...

خرج ويل ريموند المنتخ شبعاً وبدأت الطقوس، هى تفتح له باب عربته للذكولن... للرجل جلس وقد رمى رأسه للخلف فبدأ لكثّر سموخاً وانطلقت عربته ونحن وراءه بالتاكسى.

كانت المدة بين بيته والمطعم نصف ساعة... وتوقفت للذكولن أمام منزله ودخلا وأغلقا الباب.

للساعة الآن الرابعة... ومن الساعة الرابعة ظهراً وحتى الساعة الثانية مساءً بعد منتصف الليل ظللت قابلاً فى البرجولا حيث الرجل لم يخرج مما اضطرني لتركه بعد قضاء ١٢ ساعة عشتها فى الصقيع وأنا أحمل فى يدي شنطتى الهاندباج أبحث عن مكان دافئ فقد تجمّد وجهى وأصابع يدي وتلقت النفس المشدودة لبعض الترويح فمن يضحكنى الآن وأصنقاء الفرشة هم الآن فى مصر. ولا أنيس لى فى هذه الغربة التى تعوى سوى جروحي.

قلت لنفسى: الآن تأكد ويل ريموند أننى فى القاهرة ولاشك فى ذلك... مما جعلنى أحس بالأمان هنا وأنا على أرض كاليفورنيا فى ولاية لوس أنجلوس...

امتدت يدي لشنطتى الهاندباج مخرجا للدليل وقصدت مطعماً يقدم شوهات استعراضية أجنبية أمريكية وقد امتلأ المطعم الساهر هذا

بالشيش... فمن أتى بهذه الشيش إلى هنا؟ لاشك أنهم المصريون، فقد كان المطعم مليئاً بهم وهم يُرحبون بى ويصفقون ويهللون محيى محيى...

وسرحت فى عقلى وأنا لردد بينى وبين نفسى: إن القوة فقط بيدها البطش باى إنسان وتميره مهما كان وضعه مادامت العدالة لا تلعب دورها.

جلست فى المطعم الساهر الدافىء وأحسست كأننى أبو فروة يترقص على فوهة نار من شدة الألم... التفت حولى المصريون يسألون وأنا أجيب، وحتى الصباح... لكننى لاحظت اثنين منهم يجلسان على بُعد يتأملانى بالساعات ولم تفارق نظرات عيونهم عيني فأشرت لهما... فتقدما فى خجل وجلسا فى استحياء... ولاحظت عليهما للشحوب وللنحول...

فقلت ساخراً أنتم محللتوش فى مصر قبل ما تيجوا هنا... فضحكا...

فقلت: تفضلاً... فجلسا، لتُشرف بأسمائكم...

جلال...

حسين...

- أهلاً أهلاً

- أهلاً بيبك أنت فى كاليفورنيا.

وبدا الحديث... قال جلال: أنا مصرى أمريكى بقالى هنا ١٠ سنين وحسين زبى مصرى لأمريكى بقاله ١٠ سنين جينا مع بعض وإحنا طلبة ومارجعناش لحد دلوقتى... اشتغلنا فى مطاعم وبنزينات

وأجسدت عربيات وسوبرماركات وفي محلات البيوتسا لحد ربنا ما
لكرمنا... لكن بقالنا سنة من غير مشغل...

ثم قال:

- ونحن الآن نفكر فى العودة إلى مصر... هنا فيه إمكانيات لكن
مفئش حياة.

فقلت له: كن موضوعيا لا تستعلى على من أعطاك ولا تستخف
فأنا لرى أن أمريكا أعطتكما كل شيء، الهواه النقى، الممسكن للصحة،
حقوقك المادية، أمئتك، تعالجك، أركبتك عربية لأخذتها بدون معاناة
وبسعر رخيص، أوجئت لك فرصة عمل فور وصولك، وتعطيك بدل
بطالة. فلماذا لا تشكر الله على ما قدمته لك أمريكا من حقوقك
كإنسان...

قالا: ولكننا الآن بلا عمل.

- ولكن ما تحقق لكما من الصعب أن يتحقق لكما فى بلدك الآن
فاشكر الله فهناك ملايين فى العالم يتضورون جوعاً لم يحققوا
١% مما حققتموه...

فيه ثلاثة بلايين من البشر يعيشون دون صرف صحى
وبليون ونص بليون لا تصلهم المياه النظيفة
وبليون وربع مليون لا يجدون مأوى
ونصف بليون لا يتوفر لهم الحد الأدنى من الغذاء
و ٨٠ ألف طفل يموتون يوميا بسبب سوء التغذية
وتأكد جيداً أن غناك فى نفسك وقيمته فى عمالك...

قال جلال: بس يا أستاذ محيى... صحيح البلد جميلة بس حاسس
بالغربة وعدم الألفة مع الآخر هنا...

قلت لهما: أصل دى مشكلة عالمية لأن وسائل الإعلام ساعدت
على القضاء على الألفة وفكرة حصولنا على الحكمة، لأن ما نتلمسه
منها لا يقوم على تجارب متراكمة لمن نعرفهم ونثق فيهم بل على
مفاهيم مراهقين. المهم، أنت الآن تتبع أمريكا وتقاليدها وهذا هو دينها
وهم ملتزمون بدينهم وتقاليدهم فالترم أنت أيضاً بدينك.

قال جلال:

- هل هذه هي المرة الأولى التى تزور فيها أمريكا؟

- نعم

- وبقائك لى ليه؟

- ٣ شهور.

- انطباعك ليه عن أمريكا؟

- أمريكا هى الجنة والنار سياستها الخارجية شديدة التعقيد ولا
أفهم حساباتها... أما سياستها الداخلية فهى تراعى الإنسان
بصرف للنظر عن لونه وجنسه وديانته، فأنا دخلت المطار فى
دقيقة... لم يفتش أحد لى شنطة رغم أننى مصرى... لم يحتك
بى أحد طوال مدة إقامتى هنا... الكل هنا يتعامل معى بمنتهى
الرقه والبشاشة والأدب. احترام الإنسان هنا هو كل شىء... لى
صديقة مسلمة مصرية تعمل فى الكمبيوتر هنا تسلمت اليوم الـ
green card... هذا دليل على إعطائهم حقوقهم بعيدا عن
السياسة والحرب.

- قال حسين: حضرتك معنا فى كاليفورنيا كام يوم؟
 - أسبوعين...
 - يبقى حضرتك تجيب شنطك وتقعد معنا الیومین دول...
 - لا أنا جاى لأخلص مهمة ولازم بعدها أنزل مصر والمهمة تستغرق یومین فقط.
 - اى مساعدة تقدر تقدمها...
 - أنا حاسس إنكم بقربکم قریبین من قلبى...
 فقال جلال:
 - دا حضرتك اللی قریب من قلوبنا، وهكذا أكد حسین ما قاله جلال...
 اطماننت لهما وقلت: أنا بصراحة جاى أخذ حقى من إنسان ظلمنى هنا فى كاليفورنيا.
 فقال جلال: معقولة، ما حضرتك ايه زینا مظلوم.
 فقلت: لا أنتم أخذتم حقوقکم، حتى لما استغفوا عنکم أعطوكم بدل بطالة.
 فقال حسین: مضبوط...
 فقلت: لما أنا، ففيه واحد ضحك على وضیع على ۲ مليون جنيه مصرى.
 برقت عنناهما ففغرا فمهما.
 ثم قال جلال: أنا لو حصلى اللی حصاك أنا كنت قتلته - وأكد حسین ما قاله جلال.
 فقلت لهما: لكن أنا بالفكر فى طريقة أحسن دون إراقة نماء...

قال حسين: ليه هي.

- حاقول لكم.

ثم ناديت على الجرسون لكي أدفع الحساب ولكنهما أصرا على الدفع وهما يتصايحان: عيب إنت هنا ضيفنا... وكمان فضلنا على غيرنا وقعدت معنا... شكرتهما وخرجنا من المطعم. وبدأت أشرح لهم قصتي مما جعلهم يتعاطفون معي وقلت لهم: سنلتقي بعد أسبوعين، كنت قد قضيتهم بمفردي في دراسة كالفورنيا بدقة دراسة مستوفية.

وجاء يوم لقائى بهم. اليوم اشترينا البطاقات السوداء والجوانتيات التي سنلبسها واستطعت أن أشتري ثلاث مسدسات وأقنعتهم بأننى سأهدده فقط، أما موضوع القتل هذا فليس بوارد، فمن قتل نفسا بغير حق، فكانما قتل الناس جميعا.

فقال حسين: ما أنت ليك حق... دا كفاية عذابك الثلاث شهور

اللى ماشفتش فيهم النوم، مش دا قتل برضه؟

فقلت: لا دا عذاب نفسى قاتل، وحقى سأأخذه بالقوة وليس بالقتل... ولكن القوة تحتاج لتخطيط ونكاه ودراسة للزمن بدقة، وهذا ما توصلت له فهيا بنا لننفذ للخطة المحكمة...

فى اليوم الثالث من معرفتى لهم انطلقت بعربة حسين الذى كان يقودها وقد ارتدينا للبطاقات السوداء وأخفى كل معالمه ونس كل واحد منا مسنمه... فى جيبه...

وصلت العربة... وفى السادسة صباحاً جلسنا ننتظر خروج ويل ريموند ومعنا أكلنا، وحتى العاشرة صباحاً لم يخرج، فتوجهنا بأكلنا

للرجولا كى نستريح وأنا أراقب بنظارتى المعظمة فتحة خروجه من الباب...

مرّت الساعة للحادية عشرة، والثانية عشرة، والثانية... وفى الثالثة خرج الرجل وبرففته الحناء... خرج نازلا للسلام فى ببطه وما إن انتهى من السلام حتى انقض حسين وجلال وبسرعة شديدة تمّ اختطافهما بالمسدسات وأدخلاهما عربة حسين.

كنت أنا أجلس على كرسي القيادة بينما جلال يوجهنى للطريق وعند إحدى للبحيرات حيث لا أحد توقفت العربة وكان الشاهد الوحيد الذى يرانا الآن هو اللبط البرى الذى يعوم فى هذه البحيرة الآن، وكان على أن أغير من نبرات صوتى، فويل يعرف صوتى جيدا...

صوّب جلال مسدسه لرأس الجميلة وصوّب حسين مسدسه لرأس ويل وحسب خطتى ومعرفتى بالأمريكان أنهم يحملون فى جيوبهم حافظة تحوى كروت للشراء والبنوك، إذا فلا بد من أخذ الكريديت الجولد والبلاتينيوم ورقم حسابه فى البنك.

٢٥٠٠٠٠ دولار، أخذ منهم ١٥٠٠٠٠ دولار وأخذ جلال وحسين ٢٠٠٠٠ دولار لظروفهما التى جعلتلى أتعاطف معهما.

وأمام الخوف الذى أربكه والقتل الذى ينتظره من خلال تهديده بالمسدس المصوّب على رأسه، أخرج ويل كروته وقال أرقام للمحلب. أعطانى جلال وحسين الكروت التى اتعقد عليها الأمل فتركتهما مسرعا وهما مازالا يصوّبان الأسلحة على رأس ويل والحناء التى ترافقه... وانطلقت بتاكسى... متوجها لماكنات النقود... ومسحبت المبلغ المنشود بالجولد والبلاتينيوم...

وكريح صرصر عاتية عدت لهم مسرعا الخطى وسط الصقيع
والرياح والمطر وأنا أفس الـ ١٥٠٠٠٠ دولار تحت ملابسى الداخلية
ومسئسى الكاتم فى يدى...

لوقفت تاكسباً قاصدا عربة حسين عند البحيرة... وكان معى
عنوان المكان وقد حفظته جيدا حتى لا أتوه... ودخلت عربة حسين.
فى خلال ساعة لنتهى كل شىء حيث تسللت يدى منمنسة دافسة
فى جيب بنطلون جلال ١٠٠٠٠ دولار وجيب حسين ١٠٠٠٠ دولار
وأخذت أنا الباقى كما وعدتهما وأعاد حسين الكروت الذهبية والبلاستينية
لحافضة ويل ريموند... ثم أطلقنا سراحهما ليذهبا لحال سبيلهما.

وبينما هما ينزلان من عربة حسين كان ويل ريموند يتكع فى
النزول فهدنته بمسئسى ولكنه لم يُراع تهديدى، وهنا صاحت سابرينا
للمرافقة: دَعُوهُ ينزل ببطء فهو مريض وأنا سابرينا زوجته الأمريكية،
فزوجى مصاب منذ عام ١٩٩٥ بعد أن أخبرنى أنه مسافر لكى يأتى
لنا بنقود كثيرة فى مقابل أن يُصوّر أفلاما تسجيلية عن حرب الخليج
يعود بها لهننا لنبيعهما فى الأسواق (كيزنس)، ولكنه عاد لى مصاباً فى
يوم هزّ وجدانى، وأصبت بحالة من الألم والحسرة والهيستيريا عليه،
فلقد استنشق غبار اليورانيوم، الذى اخترق ملبسه وجده، وسرى فى
نمه وكانت العراق هى السبب...

وزوجى الذى ترونه أمامكم، سبب له هذا الغبار القاتل ضغطاً فى
الدم، وقد ينفجر مخّه فى أى لحظة إنه يتناول يومياً ولسنوات ما بدخل
هذه الزجاجة ١٥ حباية يومياً وهاهى الزجاجة تؤكد ما تقول... إن
زوجى مصاب الآن باضطراب فى تفكيره، وقد يتصور أحياناً أنه

يستدعى أحد أبطاله لكي يبدأ معهم تصوير فيلمه الجديد، وبالفعل يتصل بهم... وأنا بدافع الثقة عليه، لأنني أحبّه، أتركه يعيش في تصوّراته الخيالية حتى أرباحه... فالحرب قضت عليه تملما ولم يعد لي منه شيء... ثم سئلت يدها في شنطة كانت تحملها في يدها، قلّة: لقد تقابلنا صنفة وأنا الآن كنت في طريقى للمصحة التي يُعالج فيها، ليس هو فقط ولكن معه ثمانون ألفاً من الجنود الأمريكيين الذين تشركوا في حرب العراق يعالجون معه، لأنهم استشقوا مثله غبار اليورانيوم، وغاز الأعصاب، لوكد لكم أن العراق هي السبب فيما لصاب زوجي. أخرجت كارت علاجه، وقالت: من منكم يجيد الإنجليزية فليقرأ...

وبدأت أقرأ التقرير (ويل ريموند أصيب في حرب الخليج، وهو يُصوّر فيلماً تسجيلياً هناك مُصاباً بغبار اليورانيوم، حيث تم نقله بطائرة حربية مع آخرين، ليبدأ علاجه هنا في إحدى مصحات واشنطن مع ٨٠ ألفاً آخرين...

ثم أضافت سابرينا زوجته... لقد توفي ١٥ ألف أمريكي من بين ٢٠٠ ألف جندي أمريكي شاركوا في حرب الخليج...

وإذا كان مع أحدكم موبايل فليتنصل بهذا الرقم لهذا الرقم للمصحة التي يُعالج فيها وهذا رقمه ٢٥٠٠ ويل ريموند مصاب بسرطان في الدم والكبد ومشوش الذاكرة... وهذا تليفون المصحة ٦١٠٧٨٢٧٤٤١. وهذا أخرج جلال الموبايل الخاص به لكي يتأكد مما تقوليه سابرينا ولكنني رمقته بنظرة حادة ألا يتصل، حتى لا يتم تسجيل رقم الموبايل، فيستدعوه للمساطة ويُدان.

فرغم صحة ما تقوله هذه السيدة إلا أنني شككت فيها، فقد تكون هذه حيلة منها لتعرف رقم الموبايل وبالتالي يتم القبض علينا جميعاً، وتُساق للمحاكم هنا وتُصنّف إرهابيين وخاصة أنا، فأنا أدخل لمريكا لأول مرة، وسأتح وليس معي إقامة ولست أمريكيا وولدت من الشرق. لاح هذا فى ذهنى بسرعة كشريط خاطف برق أمام عينى فى ثوان...
ثوان...
ثوان...
ثوان...

سلفانا وأرماندو اللذان قضيت معهما يوماً شاقاً حين أخذتني من بنسلفانيا متجهين بى لنيويورك ليأخذوا لى صوراً فوتوغرافية فى الأماكن الشهيرة عندهم، ولقد أرهقونى تصويراً... هل هؤلاء أيضاً مجانيين؟

وهنا سألت سابرينا: هل تعرفين سلفانا وأرماندو؟

قالت سابرينا: نعم فهما أقارب زوجى، ودائماً يتحدث معهم ويخبرهم أن يتحركوا بعريبتهم من نيويورك لتصوير بعض أصدقائه من النجوم الذين اشتركوا معه فى أفلامه من قبل، ويرسلون له الصور...

وهنا لفتنى الصمت المدوى الذى أهرسنى ولا تعليق... سوى لنى فقدت كل شيء الآن... الآن اكتملت الصورة واتضح للرؤية كاملة... للموقف الذى سألنى له لقد يفوق أى خيال...
وهنا فوضت أمرى لله... فأعدت له نقوده كصديق لختل عقله وأرثى الآن لحاله.

فهاهى للحرب وقد دمّرت حلمى وأعز أصدقائى من المخرجين للذبايح...

مددت يدي في جيب جلال ساحباً الي عشرة آلاف دولار وكذلك
العشرة الأخرى من جيب حسين ثم دولاراتي التي أخذتها كاملة دون
نقصان دولار واحد، واستسمحت سابرينا أن تعطيني حقيبتها... فقدمت
لي حقيبتها في ألب شديد ومودة وقالت: تفضل...

فقلت لها: هذه هي النقود التي سحبتها من رصيده، أعيدها لك
دون أخذ دولار واحد ونحن لسنا بلبصوص، ولكن الظلم هو الذي دفعنا
لذلك...

شكوكي الآن زالت تماما عندما اكتشفنا الحقيقة... وكم أتمنى له
الشفاء العاجل...

ولأنني أحبه تقدمت منه على يعرفني، ولكنه ظل يرمقني بنظراته
وهو يقول لي: إني أتكرك ولكن لا أعرف هل أنت الذي أخرجت له
أفلاما من قبل أم أنه يشبهك...
للرجل فقد عقله فلا تركيز...

وهنا داعبته سائلا... هل تعرف سلفانا وأرماندو.

وهنا صاح في صوت منقطع مثل صوت ديك مذبوح: سلفانا هي
مساعدتي في الفيلم وأرماندو هو الطفل الذي سيمثل أمام محيي الذي
سافر للقاهرة منذ يومين، ولكن ساستدعيه في الصبيف القادم للبدأ
للتصوير...

ثم نظر لسابرينا وقال لها خذي عناوينهم لأستعين بهم في فيلمي
القادم وهو عن السلام...

فرّت دموعى طافقة من عيني وأنا احتضنه فى حب فالرجل تاكل
وعلى وشك الخروج من الحياة... كل شىء فيه قد نذل... والبخاخة لا
تفارق فمه فهو يعانى أيضا من اختناق فى التنفس...
تركته وأنا أرئى لحالى متجها لسابرينا وأنا مازلت مغفرا صوتى
دون أن أزيح طالقيتى السوداء عن وجهى:

- سابرينا... أرجوكى عندما يتحدث زوجك المسكين فى التليفون
بعد ذلك... أن تمنعيه من الحديث عن لسينما بالذات لأنه
بأحاديثه وتليفوناته التى لا يشك فيها لحد تقع لك كارثة... فراقبيه
وامنعيه...

- أنت على حق فهناك فنان كان يُصورّ معه فى أفلامه التى
أخرجها له قبل إصابته فى الحرب وقد أتى هذا الفنان إلى
أمريكا بالفعل وقد وعده أنه سيُصورّ له فيلما... وأنا سوف
أتصل بهذا الفنان الوافد من الشرق وهو يحفظ تليفونه جيدا
فكثيرا ما كان يُحدثه وأنا أسمع... أعدك أننى سوف أخبره
بالحقيقة التى أنت أيضا لا تعرفها وهو أن زوجى أصبح مصابا
بانفصام فى الشخصية فيقول الشىء ونقيضه فى أن واحد...
وهو يُعالج منذ عام ١٩٩٥.

وهنا سألتها بحزم:

- ولماذا لا تُعلنين للأخرين أن زوجك مصاب بانفصام فى
الشخصية؟

- لم أتأكد من ذلك إلا منذ عام بعد إجراء بحوث وكشوفات
وتأملات كثيرة عليه، أخيرا حسم الطب حالته فاعزورنى.

- إن عدم التصريح بحالة زوجك تسبب في قتل آخرين تماماً مثل غبار اليورانيوم... لأن خجلك والسكوت على تصرفات زوجك معناه تأكيد كذبه على الآخرين وبالتالي يصدقونه فيأخذون موقفاً إيجابياً ويأتون بالفعل حتى هنا، والدليل على ذلك ما تؤكدينه لى، محبى وما حدث له...

- سوف أنفذ ما تقول ولن أجعله بعد اليوم يتحدث مع أحد، خاصة في السينما عالمه الذى فقده.

ثم سألتنى السؤال الأخير:

- هل تسمحون لى بمسؤال...

- من أنتم... أنتم الثلاثة لا أصدق أنكم قتلة أو لصوص

فمشارعكم العادلة الآن تدل على طيبيتكم وأصالتكم وعواطفكم

الجميلة التى يفقدها الكثيرون... فخبرونى من أنت، ثم من أنتم؟

إن البروفوسير درلكوفيتش مدير مركز الطبى لأبحاث اليورانيوم

فى واشنطن قال إن الكثيرين الذين لقوا حتفهم أو أصيبوا بأمراض

السرطان وسرطان الدم والكبد فى العراق بفعل استنشاقهم لغبار

اليورانيوم. وإن الجينات الوراثية للإنسان العراقى بدأت تتغير حيث

يولد الألاف مشوهين وتبدو أشكالهم غريبة وإن ذلك سوف يستمر

لخمسة أجيال على الأقل... وإن تأثيرات اليورانيوم سوف تستمر

لملايين السنين لتحدث أثارها الخطيرة على حياة الإنسان وصحته...

ولكى أزيكنم معرفة فإن البروفوسير نودج روكه للرئيس السابق

لمشروع اليورانيوم فى وزارة الدفاع الأمريكية قد لكد وفاة (١٥ ألف

أمريكى من بين ٢٠٠ ألف جندى أمريكى شاركوا فى حرب الخليج

وظهرت عليهم الأعراض وأن هناك حوال ٨٠ ألف جندي يعالجون من المرض الآن فى الولايات المتحدة...)، إن هذه حقائق علمية وتاريخية ووثائقية. إسمحوا لى أن أستضيفكم فى بيتنا لكى نواصل الحديث.

إن البشرية تسقط الآن إلى أعلى... وعلينا جميعا كشعوب أن نعلو أصواتنا منادين بالحب لا بالحرب حتى تسترد البشرية إنسانيتها، لأن قوة الحب أقوى من حب القوة.

بكت سابرينا فودعتها وأخذت بيد زوجها وصديقى ويل حتى أخلتھما عربتهما وهما يودعانى وأنا أبكى، لا على نفسى فقط وما حدث لى ولكن على مستقبل الإنسان وسقوطه... وقد نسى أن اللدين هو فى المعاملة الإنسانية...

خلعنا طواقينا السوداء التى تلمنا بها وقد أخذتُ مسدسيهما وألقيت بالمسدسات الثلاثة فى البحيرة من المكان الذى نحن فيه وكنت أرى دائما أنه لا يجب أن يُستخدم السلاح إلا من أجل الدفاع عن حق مشروع سلب من آخر بالقوة وأن التهديد بنفس السلاح قد يعيد لك حقه، لكن إذا توصلت بالمنطق مع الآخر إلى الطرق السلمية فى استرداد حقه فيجب ألا تضغط على الزناد.

أعاد حسين وضع لوحته المعدنية بمر عربته التى كان قد خلعها وثبتها جيداً وركبت عربية حسين وأنا أعتذر لهما عما حدث وأنا صاحب مريض ولكنى متحامل على نفسى حتى لوصلانى للموتيل الذى أسكن فيه... ودعتهم على أمل لقاء فى القريب العاجل سواء فى مصر

أو في أمريكا. والذين لا يعلمونه هو أن المسمسات لثلاثة كانت مسمسات صوتية ومحشوة طلاقات فثينك وتشبه المسمسات الحقيقية شكلا ومضمونا.

لم أحتمل ولم أتحمل شدة الصدمة التي حاولت إخفاءها عن جلال وحسين... ولكنني ما إن وصلت لسريري في المونيل حتى استلقيت على ظهري وأنا أبكي بصوت عالٍ والسرير يهتز من تحتي وبضات قلبي تنق كالزلازل ولا أعرف ما الذي أصابني... حاولت ترك السرير ولكن لم أكو فاحتميت به وامتدت يدي لشريط دواء، أخذت حبتين منومتين، وبعد ساعة نمت ولم أصح إلا بعد يوم، بالليل، في ليلة أضاء فيها القمر الذي ظل غائبا عن سماء كاليفورنيا لأيام عديدة وظللت ساهما شارداً أنظر في ضوء القمر حتى أتى الصباح.

أعدت حقيبتى وأخذت الطائرة عائداً لبلصلفانيا، وما إن وصلت حتى حملوني إلى السرير فلقد كنت في حالة تدعو للرتاء... كان هذا واضحا من التشنجات العصبية التي شهدتها شيرى في وجهي... والانتفاخ الذي برز تحت جفون عيني... وتجاعيد وجهي الذي نقت فيها نهلة وهي تقول لي دون تمهيد (شيرى إطلقت)... نام ولو عى تتحرك كل حاجة حاجتك وأنت نايم... ثم قالت لي: هل هذا وجهك؟ انظر في المرأة صار وجهها آخر وأنت لم تمكث في أمريكا سوى ثلاثة شهور وأسبوع... ثم ولا تستيقظ حتى تستعيد قواك الخائرة... رحبت في نوم عميق ولم أستيقظ إلا بعد يوم لقضاء حاجتى...

لم تكتمل فرحة قضاء حاجتى حتى فوجئت بشيرى وهى سعيدة ضاحكة تقول لى: الحمد لله تم طلاقى... وعادت لى روحى تماما، ثم قالت فجأة: انظر لشاشة التليفزيون انظر... وكنت فى صراع بين للنظر وقضاء حاجتى... وهى تتد ذراعى بإلحاح كى أتوقف لأنظر... ونظرت إلى التليفزيون... إنه للمركز التجارى فى مانهاتن بنيويورك وهو يحترق... ومن هول ما رأيت، لم أجد أى إحاسيس لحسها الآن، فلقد استهلكت واستنفدت كل ما تبقى لدى من إحساس لدرجة أن ردود فعلى شطبت من ذكرتى تماما وكان رأسى رأس كرنبة محشية رز، ذلك لأن الـ ١٥٠٠٠ دولار التى أتيت بهم من القاهرة بدنتهم جميعا ولم يتبق فى جيبى سوى ثمن تذكرة العودة ثم إن هذا المبلغ هو كل ما أملكه وليس عندى أى رصيد فى أى بنك... كما أننى لم أتعاهد على أى عمل منذ ٤ سنوات.

إن كلمة القوة قد تختلط على الكثيرين بكلمة العنف... خصوصا وأن الاستعمال السياسى لهذه الكلمة قد جعل من الأنظمة السياسية القومية مجرد أنظمة إرهابية تقوم على العنف أو الطغيان... وأن كل ما يتم الحصول عليه بأساليب العنف لا بد من أن يظل عديم القيمة... لأنه إن يكون إلا كسبا زائفاً قد تحقق على حساب حرية الآخرين... وليس فى الإمكان لأى دولة أن تقوم لها قائمة إلا إذا وضعت حدا لعملية اللجوء إلى القوة بحيث يجيء القانون فيكفل للضعفاء والأقوياء على السواء الإحساس بالأمن...

وحيثما لا يشعر الضعفاء بأى طمانينة أو أمن فإن الأقوياء أنفسهم لن يلبثوا أن يجدوا أنفسهم مهدين.

لقد استطاع غاندى هذا الفقير الهندي النحيف العارى أن يثبت للعالم أجمع أن مبدأ عدم اللجوء إلى استعمال العنف هو مبدأ قوة لا مبدأ ضعف ولهذا فقد كان يقول (إنه حين لا يكون أمام الإنسان لن يختار سوى واحد من أمرين الجبن أو العنف فإننى لن أتردد فى نصحه باختيار العنف)... معنى هذا أن غاندى حين دعا إلى تجنب استخدام العنف فإنه لم يكن يعنى بذلك الخضوع لقانون الأقوى وإنما كان يشيد بقوة الإنسان الإرادية الواعية على قمع رغبته فى الانتقام... إن العدالة بدون القوة عاجزة... والقوة بدون العدالة طاغية... فلا بد إذن من وضع العدالة والقوة جنباً إلى جنب بحيث تعمل على جعل العادل قوياً وجعل القوى عادلاً...

عشرة أيام قضيتها ساهما شارداً جالماً على كرسي أمام المنزل الذى أقيم فيه ببمسلفانيا لا أفعل شيئاً سوى أن أقوم للأكل ثم أعود لأجلس... أتوجه لدورة المياه ثم أعود لأجلس... وعندما يحل الليل أقوم لأمشى بالمساعات ثم أعود أنتظر مشرق الشمس... ومساعدنى على ذلك الحبوب المهدئة فلقد لجأت إليها لأن عقلى لم يعد يحتمل التفكير... كان على أن أخرج من حالتى هذه وأقوى نفسى كى أتماسك لأعود لبلدى ولكن شغلتى التفكير فى وضع أمريكا ومركزها التجارى هذا مفكراً فى آلاف القتلى والجرحى متسائلاً بينى وبين نفسى ماذا جنى هؤلاء الأبرياء المدنيين خصوصاً أن العاملين بمركز التجارة العالمى بنيويورك وزواره من جنسيات مختلفة... كارثة بكل

المقاييس... ذعر يجتاح أسواق المال العالمية... فنيويورك هي القلب النابض لحركة المال في العالم وبالتالي ستتأثر وبشدة للبورصات الأمريكية... والبورصات العالمية الكبرى لأنها شديدة الارتباط ببورصات أمريكا... وسوف ترتفع أسعار الذهب والبتروول كبديل للأهم والدولار... ثم الاضطراب الذي سيمسود المجتمع الدولي وإغلاق الولايات المتحدة حدودها ومطاراتها ومئات الرحلات التي ألغيت والمسافرين وما سيصيبهم من تعطيل أعمالهم ووقف نشاطهم. إن خالق الدنيا وخالق الإنسان يهتم بكل الناس... وإذا كانت علاقتنا بالخالق جميلة فهو يكون جميلاً ويرى الناس فيه الجمال ويرى هو الوجود جميلاً...

خرجت من نقل هذه الأيام العشرة المميّنة مرتدياً ملابسى... وجذبت حقيبتى الكبيرة والهاندباغ... وتأكدت من تذكرة السفر والباسبور... ومن لبضى ودقات قلبى وأنى ما زلت على قيد الحياة واتصلت بأحد الأصدقاء فى ولاية نيو جيرسى لكى ينقلنى بعربته من ولاية بنسلفانيا للمطار فى نيويورك وكم كنت أريد حضور الاحتفال برأس السنة وعيد العفاريت (Hallowien) فى أكتوبر ولكن شعوراً بالكآبة قد احتوانى...

وَدَعْتُ الأحبة الذين احتضنوني وقد استعدت بعضاً من لياقتى... وفوضت أمرى إلى الله وركبت الطائرة... وقد امتدّت يدى داخل حقيبتى الهاندباغ لتُخرج بعض الأوراق وقد ارتفعت الطائرة على علو ٢٢٥ ألف قدم من سطح الأرض.

كانت الطائرة تطير تمخر في عباب السماء بصوت مفرع وكأننى
أركب طائرة حربية ستدخل في قتال بعد لحظات... سرحت في شروود
متأملا ما وصلت إليه الحياة وعيناي تكمعان... وأنا أحاور نفسى فى
صمت واستغراق...

الإنسان هو أعتل مخلوق أعطانا الله فلماذا هذا النقصان...
صنكفونى أن هذه أطول رحلة فى العالم، ثقيلة على نفسى ثقلا ما بعده
ثقل... فلقد رأيت وأحسست مشاعر لم أعرفها من قبل مدوية مثل
الجمم... وكثيرا ما كنت أتأمل مطربنا الراحل العظيم عبد الحلیم حافظ
وأتعجب كيف يعبر عن كلمات الأغاني هذه التى يغنيها وكيف يحسها
وكيف يوصلها لنا، ذلك لأنها خصوصيته هو... إنها تجربته هو فقط
التى تفرد بها، لذلك تفرد بهذا الحس هو فقط... لقد اكتشفت فى رحلتى
المجهولة والمهولة هذه أحاسيس لم أدركها من قبل فى هذه للرحلة غير
المسبوقة فى الحس للبشرى، رحلة تفوق ما كنت أحلم به فى كاليفورنيا
من مجد لم يتحقق، إن أعظم حرب الآن هى تحرير للنفس من الداخل.

ولو المشاعر طغت عليك

سرسبها أحسن من بين يديك

ولخلص

لتخلص عليك

هكذا كانت كلماتى الأخيرة مع نفسى.

وأنه إذا هرمت خلايا جسمك

فوجب أن تكون روحك قوية.

هتئى للتعب وللشروء وتدلخل الأفكار فى الأفكار وتلاصقها...
خارت قواى تماما فسقطت نائما دون أن أعى أننى فقدت السيطرة على
نفسى وعقلى.

وفى مطار القاهرة الدولى كان فى انتظارى أخى الأصغر
الباشمهندس محمد فخرى... الذى لخننى وأنا نائم مع شلطنى ومننى
فى عربته وعند وصولى منزل أختى الصغيرة أيقظنى... وكان لقائى
بأختى وابنها أحمد وابنتها القطوطة الشقية دعاء... لقاءً ممتعاً رغم
الإجهاد الشديد الذى حل بى وحالة الشروء التى تبرق من عيني، وفجأة
وجدونى أسقط نائما، تسحبت إلى غرفة النوم وامتطيت السرير يوماً
كاملاً... وما إن استيقظت حتى بدأت لحنى لهم هذه المغامرة للمميتة
والتي سلبت من عمرى ٤ شهور...

فتحوا لى الشبابيك فنظرت... كانت السماء صافية... الشمس
مشرقة... فصليت شكراً لله على عودتى سالما لبلدى الحبيبة مصر
بينما صفعتنى دعاء بحكمة أعادتتى لصوابى (الحكيم يا خالو من لا
يحزن لحرمان وينعم بما ملك).

تم بحمد الله
محيى إسماعيل

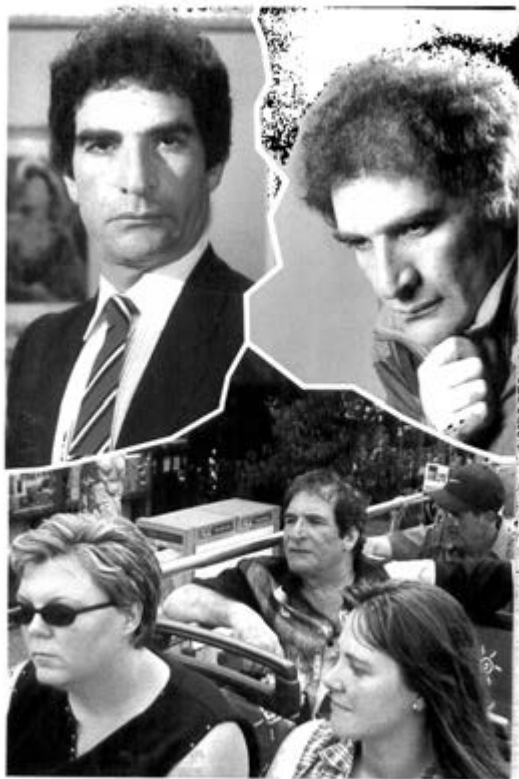
شخصيات الرواية

- محبى إسماعيل: فنان ونجم سينمائي متقن يحمل الجنسية المصرية.
- نهلة البردينى: سيدة مصرية جميلة... هانم... لا تعمل... لكنها ست بيت رائعة تعيش فى أمريكا منذ ١٥ عاماً.
- شـيـري: ابنة نهلة البردينى رائعة الجمال مثقفة متحضرة ومتزوجة وتعيش فى أمريكا... تعمل فى الكمبيوتر.
- مهران: فتى من كشمير يحمل الجنسية الأمريكية وزوج شـيـري ويعمل فى الاقتصاد.
- ويل ريموند: مخرج مصرى مهاجر يعيش فى أمريكا منذ ١٥ عاماً ويحصل الجنسية الأمريكية.
- سابرينا: سيدة أمريكية وزوجة ويل ريموند.
- حسام الرويعى: مهندس الإلكترونيات مصرى يعيش فى أمريكا منذ سنين.
- ملـفـانا: مصرية أمريكية وهى قريبة المخرج ويل ريموند.
- أورماندو: طفل مصرى جميل مولود فى أمريكا ويعيش فيها ويهوى للتمثيل.
- محمن حسان: شاب مصرى يمتلك مطعم فى أمريكا ويعيش فيها منذ ١٥ عاماً ويحمل الجنسية الأمريكية.
- جـورـجـيت: امرأة يونانية عاشقة.
- روزيتا: فتاة أمريكية رائعة الجمال.
- جـلال: عامل مصرى يعمل فى أمريكا منذ عشر سنوات فى إحدى الرستورانات.
- حـمـسـين: عامل مصرى يعمل فى أمريكا منذ عشر سنوات ويعمل فى نفس الرستوران الذى يعمل فيه جلال.
- ماريلانا: شابة يونانية.
- لورانسو: شاب يونانى.

ألبوم الصور











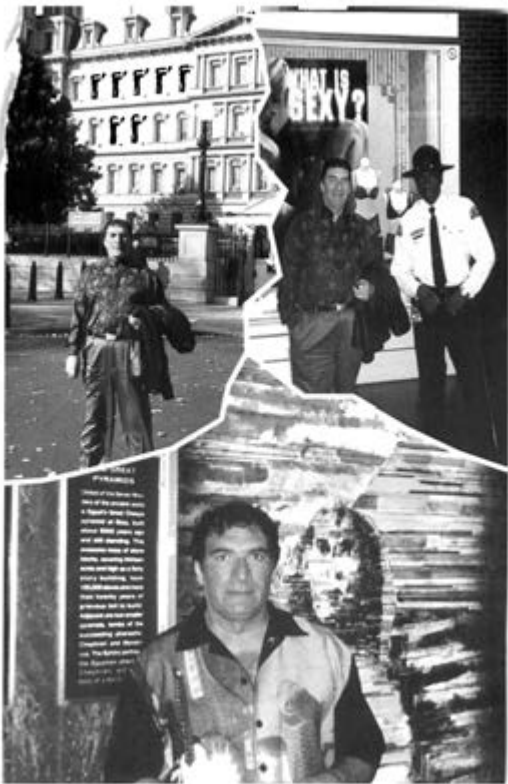






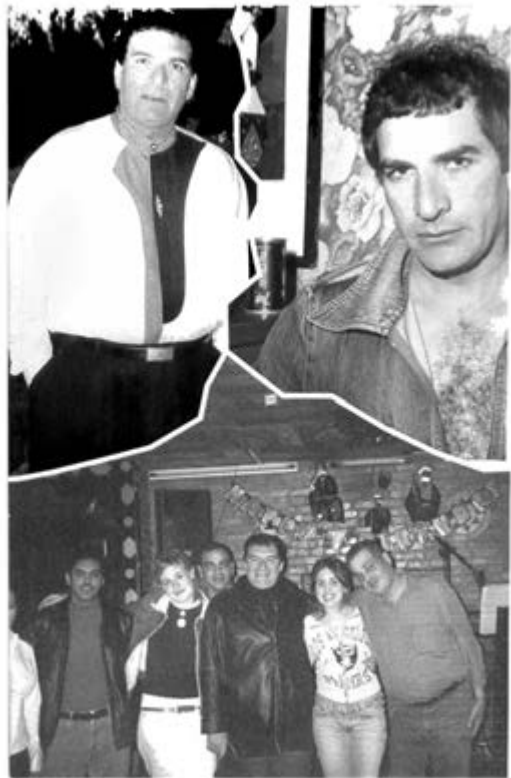


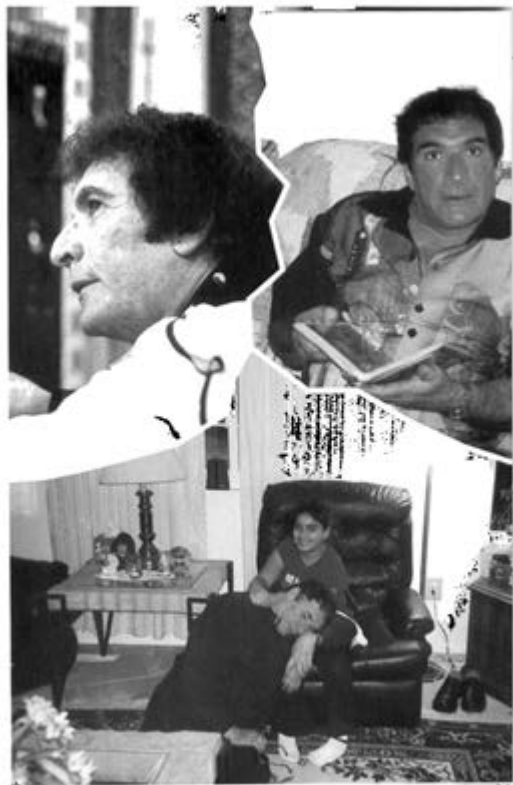




THE UNTOUCHABLES

Three of the Untouchables
in a scene from the movie
The Untouchables. The
movie stars Kevin Costner
and Robert De Niro. The
movie is based on the
real life story of the
Untouchables. The
movie is a great movie
and it is based on the
real life story of the
Untouchables. The
movie is a great movie
and it is based on the
real life story of the
Untouchables.









منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET